قرن الغزال

عادل محمد

قرن الغزال / رواية

عادل محمد

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة , اش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٢٢١

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ١٥- ٢

قرن الغزال

رواية

عادل محمد

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



الفصل الأوّل

كانت الغابةُ وكان البحرُ حوالَيها كطوقٍ من الغرق يحيط جيدَها كعقد ناعمٍ يزيّنها للغابة الأخرى على الشاطئ البعيد. كانت الغابةُ وكان الأسد كعادته حاكمًا لها يمتثلون أمرَه وينفذون أحكامَه ويقدّمون أرواحَهم فداءَ شبَعِه واستمرار حياته .. ليس حبًّا وإنما هكذا تسير الأمور.

لا تَنسى الغابةُ "حادثةَ الفيل" حين جاء في مشهدٍ مهيبٍ إلى بيت الأسد وأطلق صيحةً من خرطومه الطويل،قال ورجفةٌ تَتَملّك جسدَه فتسري في خرطومه فيرتجف كلامُه معها :

" أيّها المَلك إني أتيتُكَ لترفع بي عن الغابة بؤسَ يومَين أو ثلاثة ، أتيتكَ أحمل حلمَ الشعبِ في ليلٍ ينامون فيه دونَ مخافة الموت.. يَحيَون كأنهم أحياء ، أنا كما تعلم وترى أكفيكَ

بلحمي مشقةَ الصَّيدِ والتعبِ لأسبوعٍ كامل وربما تصنع من نابي تاجًا ومن جلدي بساطًا للزائرين .. عسى أن تمنح كلُّ قضمةٍ من جسمي حياةَ يومٍ لمواطنٍ ضعيف .. أرجوكَ اجعلني فداءً لهم وكفاني أني ذاهبٌ إلى خيرِ جسد "

بكى الفيل ونظر بطرف عينه إلي زوجته وابنه فسالت دموعه وكاد يعود أدراجه ولكنه برك وانتظر الموت .. وبكت الحيوانات معه يصرخون في أعماقهم لا يريدون له الموتَ ذلك الفيلِ الطيِّبِ كما لا يريدونه لأنفسهم . أيّ عذابٍ حَلَّ بهم وأية مأساة تختفي في الغيب .

موت الفيل كان لطمةً أخرى على وجه الغابة الحزين وفي نفس الليلة اختلى الأسد بنفسه وصورةُ الفيل لا تفارقه وروَّعَه السؤالُ : ماذا بعد أن تفنى الغابة ؟

كان قلقُه وكان قراره بتعيين الغراب مراقبًا للغابة يكشف أطرافها وينقل أخبارها فلا يصل إليها طامعٌ في فريسة ولا تُدبَّر بالليل دسيسة .. هكذا قال لهم إنّ مشاكلهم بالداخل لا تحتمل عدوًا جديدًا. فَرِح الغلابةُ وفَرِحَ هو فإذا كان الفناء قادمًا لا محالة فليأتِـــه آخرَهم وليضمن الآن أنّ ما في الغابة له وليس لغيره .

تنكمش الغابة على أهلها كل يوم ، ولا يجد الضعيفُ لنفسه ملجئًا ولا أنيسًا مِن جنسه يخفّفُ عنه وأصبحَت الغابة البعيدة تراودهم كأنها الحلم .. تُرى ماذا هناك ؟؟

لما ضاق الحال بهم وأصبح الموت صديقًا والأسد ما زال مليكًا، اجتمع الضعفاء في ظلام الليل وكانت الثورة .

كانت الثورةُ وكان الأسد قويًّا بنفسه وأعوانِه وكان حديثُه يردّهم خائبين صابرين وربما مشفقين عليه . قال وقد أتوه شرذمةً قليلين يرفعون أصواتهم الضعيفةَ وشعارُهم "هو الموت فليكن بشرف" .. قال :

" اعلموا أنّ ثورتكم لا تخيفني وأنّ موتكم جميعًا لن يُغيّر في الأمر شيئًا . واعلموا أني علمتُ بثورتكم وهي بعد لم تزل في صدوركم وإنما برحمتي فقط سمحتُ بها وقبلتُ أن تأتوني ورائحة العداء تسبقكم فما قابلتُ ذلك إلا بأنف العفو .. أيها الشعب لا تنسوا أنّي على قوّتي واحدٌ منكم يعلم آمالكم كما يعلم ضعفَكم ، ولو كان همّي أن يشبع القوي لما رضيتُ بموت الفيل ولما غصبتُ نفسي على لحمه من أجلكم ولما عيّنتُ الغرابَ ليُعمي عنكم عينَ عدوّكم " ثم صاح بأعلى صوته " ألا تذكرون الفيل .. ألا تذكرون الفيل " وارتفع البكاء وتعالى النحيب وارتجف الجميع ورأوا في عينيه الدمع فقال "إنكم

تنامون في بيوتكم تخافون الموت نعم لكنّه موتٌ واحد .. أما أنا ينام الموت معي كل ليلة .. ما من واحدٍ منكم راح في سبيل جوعي أو جوع الأقوياء منكم إلا وتزورني صورتُه تمزّق قلبي وتمزّ كياني .. وأنا بعد هذا لا أردّ طلبَكم فأشيرو عليّ بما تريدون .. إنكم لأحسن الغابات الفقيرة حالاً ويكفي أني لا يردّني عنكم مُلكٌ ولا يمنعني من سماعكم شبعٌ .. فهل أضربُ لكم الأرضَ فتخرج لحومَها أم أمنع نفسي وإياكم من الطعام فيأكلكم الموت .. ما ذنبي وقد خُلقتم هكذا وليس لي قدرة أن أنفخ في ضعيفكم القوةَ فيردّ عن نفسه الموتَ .. تكلّموا أيها الحمقى" .

سكت الجميع وطأطؤا رؤوسهم وأخذ الأسد يسعل فأسرع إليه بعضٌ منهم يعاونوه ، يسعل الأسد ولا ماء في الغابة سوى ماء البحر، والمطرُ لم ينزل بَعد. الأسد يكاد يموت، فهَمَّ الجملُ ونام أمام الأسد وقال له اقتلني واشرب ما اختزنتُ من ماءٍ أيامَ المطر ......!!!

*****

كان الفجر وكان الأسد واقفًا أمام البحر يرقب الشاطئ البعيد هنا فقط يستطيع أن يبتعد عن كل شيء ، ضعاف الحيوانات لا يقتربون من الشاطئ حتى ولو كان الغراب مراقبًا

فالخطر قائمٌ خاصَّةً في هذا الوقت من اليوم . وَقَفَ طويلاً ثم حَرَّكَه الجوعُ وزكمَتْ رائحةُ البحر أنفَه ولسعةُ البرد أخبرَتْه أن بعض اللحم يكفي للدفء فسار متوغلاً في الغابة النائمة .

صحت الغابة على صرخةٍ هائلةٍ وزئيرٍ مكسور إنه الأسد حبيسَ حفرةٍ وجريحَ فخٍّ .

في عرينه - بعد أن أخرجوه - راقدًا يصارع الموت ويعجب من النهاية التي بادرَتْه في ذروة شهوة الحياة . يتأوّه ويترف مع الدم أحلامَ الـــمُلك وصيحات قتلاه يسمعها قهقهاتٍ عالية. يدير بصرَه الزائغ فيرى في العيون شماتةً وحيرةً وطمعًا وخوفًا وحكمةً وبكاءً .

كانت الحادثة وكان أهل الغابة مجتمعين على مقربة من الأسد الجريح . ماذا سيفعلون وبعد وقتٍ قليل سيصبحون بلا حاكم.. سيضيع النظام وتسود الفوضى .

الغابة الحائرة أصبحَت تتمنّى الآن حياةَ الأسد ولو كان فيها موهم . يقول قائلهم :

- لم نعلم لنا حاكمًا إلا الأسد

- كان عهدُه عهدَ موتٍ وخوف

- استحِ يا جبان الأسد لم يمت بعد .. أنتم حقًّا تخافون ولا تختشون

- فلنتخير حاكمًا غيره أم أن الأسود ترضع الحكم مع اللبن

- سيقتلنا ألفُ موتٍ بعد رحيله .. أطماعكم أوسع من فمه

- لم يكن بيده شيء يفعله ألم تسمعوه في خطبته الأخيرة حين قال " ما ذنبي وقد خلقتم هكذا "

- كم كنتُ أتمنّى أن يموت على مائدة صياد أو بين فَكّي أعوانه

- دعونا وشأننا لا نريد حكامًا .. وكلٌّ رئيسُ نفسِه

- اقتلوا الغرابَ (الرقيبَ الأعمى)

كان ليل الحادثة وكان الغراب مع الأسد في عرينه يشعر بالذنب ويجلس منتظرًا الموت. وإلا ما الذي جعل الأسد يرسل في طلبه وإحضاره وقد فرّ بعصبيته .. وإذا بعَينَي الأسد تلمعان ببريقٍ ساطعٍ ربما من الدمع حتى إنّ الغراب خاف على نفسه وظنّ به بعضَ رمقٍ وارتعش .. لكنّ الأسدَ قال له بعدما خرجوا جميعًا "يبدو أني لا محالة ميّت" يقاطعه الغراب بلهفة "روحي فداك يا سيدي .. مُرْني اقْتُلْ نفسي وليعلّقوا أجزائي

على أشجار الغابة " يردّ الأسد بعد أن أخذ نفساً بصعوبة "بل سآمرُكَ بشيءٍ آخر ، تطير إلى الغابة البعيدة وتستأذن على مَلكها وتقول له "سيدي يُقرؤك السلام ويقول لك ردّ علينا ابنَنا"

****

الفصل الثاني

أدرَكَ الابنُ أباه في النزع الأخير . وحيدَين يجلسان في حضرة الموت وأنفاس الأب نداءٌ صامتٌ ونظراتُه الغائمةُ ضبابٌ يبحث فيه الابنُ عن ضوء .

كان اللقاء وكان جلالُ الصمت يلفّ الغابةَ المنتظرة بالخارج، وحدهما يعلمان ما يدور الآن . خرج الابن رافعًا رأسه ناظرًا إلى الأفق وجال ببصره في الحيوانات أمامه ثم تنفّس بعمق وأطلق زئيرًا لم تسمعه الغابة من قبل وانخرط في البكاء . يحاول أن يقول شيئًا فيخرج صوته قمتهات حزينةً وكلامًا مبتورًا وجُملاً متداخلةً . أشار الغراب للجمع فانصرفوا مشفقِين على الملكِ الحزينِ والابنِ الذي ما كاد يرى أباه حتى فارقَه . انصرفوا واندفع الملكُ إلى أبيه وارتمى على صدره الساكن وأعوان أبيه على الباب يسدّون بظهورهم فرجة الضوء.

مع الغروب كان دمع الملك مختلطًا بدمع السماء . إنه المطر. استبشر أهل الغابة خيرًا وحَدَّثَتْ عيونهم أنه مَلِكٌ مباركٌ ، ذلك الذي طلبه الـــمُلك و لم يطلبه ،وغسلتْ السماءُ روحَه قبل أن تفعل عيناه .

الآن يمكن لكلامه أن يسير على بحر الدمع فلا يقطعه الموج ويقذفه على شاطئ البكاء فتكسره صخرة الحزن . كان الملك شريدًا في الغابة رأته الحيوانات من نوافذ بيوتها وحيدًا في المطر وفي عينيه شيءٌ فَسَّرَه في قوله :

" أيها المحزنون الحائرون، أيها الجائعون الخائفون، أيها الحالمون الطيبون ، كان موت أبي سيفًا يلوح أمام روحي فيفزعها فلما رأيتُ ما رأيت وسمعتُ من أمر الغابة ما سمعتُ بلغ السيفُ موضعَ الفؤاد فعرفتُ أنَّ أهْوَنَ الحزنِ أفرَدُه ورحيل أب أخَفُّ على النفس من رحيل أمّة ، وإني لا أرى المُلْكَ وصِيةً وتشريفًا وإنما أراه منحةً وتكليفًا فكم من حاكمٍ ولَّته الطبيعةُ أمرَها فأساء إليها بأمره ولكنَّ الحُكْمَ من الحكمة ، والحكمة تُؤتى ولا تورَّث فمن علمتم خوفَه عليكم وسعيَه من أجلكم فنصّبوه أمرَكم وما أنا إلا واحدٌ منكم ينتظر مليكَه الجديد عازمًا على معاونته ومادًّا له قلبه قبل يده ما رأى في رأيه

الخير وإلا فناب الجماعة أولى بالظالم من يد الولاء . فاحزموا أمركم والله معكم "

صياح الحيوانات وتهليلهم كان ردًّا كافيًا ورأيًا تضمن العاطفةُ صدقَه ويكفل الحبُّ تحقيقَه ويباركه العقل. وكيف يتردّدون وهو يجمع بين المُلْكِ الذي يجري في دمه والعلم الذي جرى إليه . لن تنسى الغابةَ للمَلِكِ الراحل تلك الهديةَ التي نسوا بها أيامَه الحزينةَ كلَّها .

****

أرسَلَ الحاكمُ الجديدُ إلى زوجته فأتت وإلى الغابة فاجتمعَت ووقف فيهم خطيبًا في أول أيام الحكم وقال : " لا خيرَ بغير صبْرٍ ولا نجاةَ بغير أناة ومن رَوَّضَ طبعَه حَسُنَ صنعُه وفاز ومَن تَرَك لخيل نفسه لجامَها سَقَط مِن فوقها وهَلَك. فإنْ عَلِمْتم ذلك فأعينوني على طبائعكم بالحزم واكفلوا لي سنةً من الصبر أكفُلْ لكم أعوامًا من الرخاء" هلَّلَ الجميع "نحن رجالك فأمُرْ نُطِع فما علمنا في رأيك ضرًّا ولا يكون الشرّ من مثلك شرًّا " قال الملك في حزم " إذن فاسمعوا وأطيعوا .. لقد قررتُ الآتي :

"يَحرُم لحمُ الغابة على أهلها إلا لحمُ من عُلِم موتُه أو أهدرَ دمُه أو وُجِد على شاطئها. وأوّل لحمٍ أبيحه لحم أبي هذا" وأشار إلى عرين الأب الذي لم يُنقَل بعد. عَلَت همهمة

الحيوانات وبانت دهشتهم .. أيبيح الأسدُ لحمَ أبيه ؟ وقرأ الملك في عيونهم ذلك فأجاب على سؤال لم يُسأل " أبي وألْفُ أبي لا يمنعوا عَذْلي .. ولو الرَّجا نافعٌ رَجَوتُهُ عُدْ لي " صاح ذئبٌ "وكيف نعيش يا سيدي ونحن لا نأكل إلا اللحم" ردّ الأسد في هدوء "أظن أني مثلكم لا أعيش بغيره فإن لم نجد من اللحم ما يحل أكله فسنأكل من حشيش الأرض ونباتها وكلنا في ذلك سواء " هتفت بقرة "عاش الأسد العادل" فردّ الذئب مرّة أخرى "إنما وافق منكِ ومن أمثالكِ هوىً جاءكم يومٌ ترون فيه أسيادَكم يتضوّعون فيأكلون فتاتَ موائدكم على الضَّير وأنتم به سعداء" قطع الملكُ حديثَهما قائلاً "اهدأ أيها الذئب ولا تتعجّل فإنّ عليهم مثل ما لهم. فإن كان الحشيشُ طعامَهم فزراعته وحمايته ليست كذلك" قال الأرنب بصوته الرفيع "أنحن سنزرع الأرض" ضحك الأسد وقال "أما أنت فلا وإن كنتَ ممن يأكل خراجها" ثم أراد الأسد أن يلطف حرّ المناقشة فأردف مازحاً " ولكن لا بأس أن تحمل الزرع إلى مخازنه " ضحك الجميع حتى الأرنب فأكمل الأسد قائلاً "إنّ لكل منا عملاً هو عامله فلا يحسدنَّ أحدُكم أخاه فيدفعه ذلك لبُغضه وإنه لأشدّ عليكم من الجوع والعطش وتعاونوا على ما فيه نفعكم وسلامتكم وبعد حينٍ عندما يجتمع لكم الأمن والرزق ستستصغرون تعبكم وتشكرونَ ربكم " .

رأى الملكُ الرضا والفرحة في أعين الحيوانات فأكمل قائلاً :

"أما وقد أمن الآن بعضكم بعضاً فلتأمنوا عدوّكم .. رحم الله أبي حيث عيّن الغرابَ الحكيمَ مراقبًا فجاءه الشرّ من حيث أراد هو الخير ولو تدبّر أبي لعلم أنّ لكلٍ شأنه ولهذا فسيحلّ القردُ محلّ الغراب في المراقبة وسيتولّى الغرابُ أمر السجن " قال الغراب في وجوم "أيّ سجنٍ يا مولاي ؟؟ " قال الأسد "لا عدلَ بغير قصاصٍ أيها الغراب الحكيم" ثم أردف الملك "احفظوا للغراب حقّه فإنما فُضِّلَ عليكم بحكمته وعلمه" . كان هذا آخر ما قال الملك في خطبته .. ثم دخل إلى عرين أبيه وأخرج جثته وقطّعها ووزّعها عليهم ولم يُبقِ لنفسه شيئاً فحاوَل كلٌّ منهم أن يترك حقّه كرامةً لوالد الملك ولكنه أصرّ وقال "لولا أنه أبي لأكلتُ معكم" ثم ابتسم ابتسامة حزينة ودخل إلى عرينه .

أشرقَتْ الغابةُ بشمس جديدة وتنفّس أهلها الحريةَ مع الهواء وتحوّل خوف الموت في نفوسهم إلى رغبةٍ عارمةٍ في الحياة جعلَتهم لا يستريحون ساعة من تعب الزرع والنقل والبناء .. الأرض تكوَّن في رحمها جنينٌ أخضر لن يُشوِّهَه إلا ذلك السجن الذي يجمعون له الآن الأخشاب لكن حكمة الغراب اختارت له مكاناً وسط الأشجار الكثيفة وكَسَتْــه بالأوراق

الخضراء حتى تكاد لا تلحظه إلا بوجود الغراب إلى جانبه .. الأرنب الضعيف يحمل ورقةً في فمه ويقفز لأعلى ليطول رقبة الزرافة التي تتولى وضعها على الأخشاب العالية ويمرّ الأسد فيبتسم للأرنب ويحني الأخيرُ رأسه خجلاً واحتراماً.

أيامٌ من العمل والجهد والسعادة .. الغابة لم تعد تحلم بالغابة البعيدة فسينشؤنها على أرضِهم وألسنتُهم تلهج بالثناء على الملك العظيم الذي أصبح لا يُرى إلا مشغولاً بحال الغابة ومصالحها يقطعها من أولها إلى آخرها ناصحاً ومعاوناً ومراقباً وممازحاً حتى أنه جلس مع الفلاحين منهم مرّةً ووزّعَ بنفسه عليهم الغذاء وأكلَ معهم . القرد لا يملّ انتقالاً بين الأشجار، يشعر أنّ الغابةَ كلَّها وأحلامَها على عاتقه يضرب ببصره في الأفق البعيد كما ينظر تحت قدميه لا يدع شيئاً إلا وهو يعلم ما يدور فيه لكنه بما في صدور الحيوانات جاهل ولذا شهدَت الغابة وسط فرحتها وولائها مَن غلبَه طبعُه وألحّتْ عليه غرائزُه فأُعْدِمَ ذئبٌ أكل نعجةً وذُبح ثعبانان التهما دجاجةً وكفى القردُ أنه أبلغ عنهما وإن لم يستطع منْعَ الحادثة قبل وقوعها فما كان من الأسد إلا أن أخذ برأي الغراب وأوكل إلى الثعلب أمر الداخل وتفرَّغَ القردُ لمراقبة الخارج .

لم تمنع الغابة نفسها من حبِّ الثعلب فقد استطاع كبح المتمردِين بعينه التي لا تملّ وحركته الدائمة ومروره المستمر فكم من خطة أفسدها وكم من جريمة أنقذ ضحاياها وكان عاقبة أصحابها القتل أو السجن . يحبّونه ويقدّرون راحتهم التي تحققَت على تعبه ولا يضاهيه في هذا الحب إلا الملك الرشيد والغراب الحكيم ولكنَّ حبَّه واحترامَه صار أضعافاً بعد "حادثة الغزال".

****

في فجر يومٍ ما وأثناء مروره على شاطيء الغابة وجَدَه غائبًا عن الوعي .. لا يبدو أنه من أهل الغابة فإنه يعرفهم جميعًا كما أنه لا يشبههم .. جلده الجميل وجسمه القويّ لا يوحيان بأنّ أحدًا رماه هنا لكنه البحر فعَل .. هكذا خمَّنَ بعد أن وجد قاربًا متكسِّراً بجواره على الشاطئ فأسرع إلى الغراب يلتمس عنده علاجاً وهو يقول في نفسه "مسكينٌ أيها الغزال أتيتَ من الموت إلى الموت" فقانون الغابة يقضي بأنه حِلٌّ لأهلها خاصّةً وأنهم لم يطعموا اللحم منذ زمن فكيف وهو لحم غزالٍ قويٍّ جميل . الغراب يمزج من عشب الغابة أشياء ويطحنها ثم قرَّبها من أنف الغزال وما هي إلا لحظات حتى فتح الغزال عيناً بديعة

الحسن ونهض واقفاً .. ترنّح قليلاً فسنده الثعلبُ وقال له " حمداً لله على سلا... متك "

وهو في نفسه يقول " ياليتك متّ قبل هذا .. يا ليتني لم أرَك" وانطلق ثلاثتهم إلى الأسد والشمس لم تفتح عينَها بَعد. لكنَّ عرينَه لا يُغلَق . دخل الغرابُ وقَصَّ عليه القصص فما كاد يكملُ حديثَه حتى أسرَع الأسدُ إلى الغزال ليراه وتأكّدَ عنده من النظرة الأولى أنه من الغابة البعيدة فهو يَعرف سكّانَها لكنه لا يعرف أنهم يفرّون منها . فَهِم الغزالُ سؤالَ الأسد فقال وهم يستمعون إليه في عرين الأسد :

" تَعلَمُ يا سيدي أنَّ غابتنا غنّاء واسعة مليئة بالخير وكل أهلها سواء حتى مَلكها لقد وُلدتُ بها وما من شجرة فيها إلا ولعبتُ تحتها وأكلتُ نبتَها ونمتُ في ظلها" أغمض الأسد عينيه كأنه يستعيد أيام حياته هناك بينما يقول الغزال "كنتُ أسمع منذ صغري أنَّ عائلتنا ليست من سُكّان الغابة الأصليّين وأنَّ أجدادي كانوا عبيدًا سِيقوا إليها لكننا ومع مرور الوقت أصبحنا مثل أبنائها وأكثر ، نظراً لما وهبنا الله من جمال وقوة وحقيقةً لم أكن أرى في نفسي فارقاً عنهم وكنتُ أحبّهم حبًّا شديدًا إلى أن أسرَّ إليّ ثعلبٌ صديق -ونظر إلى الثعلب- أنّ مؤامرةً تُحاكُ بين غزلان الشمال للإطاحة بي فانْجُ بنفسك

واركب البحر ودَعْ شاطئه يُسْلِمكَ للأمان ففعلتُ مثلما أشار ولكن الموج والرياح اشتدت بي وأنا لا عِلْم لي بها ففقدتُ اتزاني وكدتُ أغرق وعلمتُ أنها النهاية ثم غبتُ عن الوعي فما أفقتُ إلا عندكم" وكرَّر النظر إلى الثعلب .

تبادَلَ الأسدُ والغرابُ والثعلبُ نظرات ذات معنى. الغزال المسكين لا يعلم ما ينتظره بعد قليل وأشارَ الأسد إلى الثعلب أن يَدَعَه مع الغراب بينما ينتظر مع الغزال في الخارج . امتثل الثعلبُ أمر الأسد وانحنى الغزال تحيةً للملك وخرج وعلى باب العرين التفتَ الثعلبُ برأسه إلى الملك وفي عينه تَوسُّلٌ واضحٌ ولأوّل مرّةٍ يحسّ بقسوة العدل .

الشمس في كبد السماء والغابة مجتمعة أمام بيت الملك،فغياب الثعلب والغراب لا يكون إلا لأمرٍ خطير ، خرج الأسد ومعه الغراب بينما الثعلب قادمٌ من بعيد فقد رأى في إخفاء الغزال عن عيونهم المتعطشة للحم حكمةً ورأفةً بالغزال من أن يسمع أمْرَ موته بأذنيه وكان الثعلب قد فكّر في تهريب الغزال ولكنّ البحر أمامه والموت خلفه .. وموتٌ مؤجّلٌ خيرٌ من موتٍ محتوم .

قرأ الثعلبُ في عين الأسد إعجابَه بصنيعه ورضاه عما فَعَل فاطمئن قلبُه المرتعشُ لكنه لم يزل خائفًا على صاحبه . وقف الأسد في أهل الغابة خطيبًا وقال لهم :

"يا أهل الغابة الرحماء يا من جرَّبتم طَعْمَ الحياة الآمنة ويا من نزعتم عن عيونكم غشاوة الطمع فرأيتم نورَ العفوِ وجمالَ العطاء . إني وإياكم نعلم قانون غابتنا كما نعلم أننا مَن اتفقنا عليه وما كان اتفاقنا إلا لأنّ فيه خيرَنا جميعًا وأنا لا أعلم بيننا واحدًا يُقدِّم نفسَه على جماعته وأهله فلو أنّ لأحدكم بيتًا لا يضيره أن يترع لَبنةً منه ليضعها في بيت لفقراء الغابة أكان سيَسأل نفسَه قبل أن يترعها ؟ " فهلّلوا جميعًا "كلا وربِّ الغابة " فقال الأسد "فماذا إذا علمتم أن مَلِكَم رأى في قتل أحدكم خيرًا أكنتم مُطيعيه ؟" قال الأرنبُ "نطيعك ولو قتلتَنا جميعًا" فقال الأسد في لهجة إخبارية "فإنا قد وجَدْنا على شاطئ الغابة اليوم غزالاً فرّ من الموت إلينا وإنه من الغابة البعيدة وقد رأيتُ أنّ في العفو عنه رحمةً وغنى ؛ أمّا الرحمة فبينةٌ وأما الغنى فإنه لا يساوي قوتَه وجمالَه ألفُ غزالٍ من غيره ولإنْ مَنّ الله علينا بذرّية منه علَتْ غابتُنا واستفدنا من حيث فَرَّطَ الآخرون فإن رأيتم ما أرى عوّضني الله وإياكم بخيرٍ منه وإن رأيتم غير ذلك فأشيرو عليّ "

مرّت لحظاتٌ من الصمت والحيرة فالغابة لم تأكل اللحم منذ زمن ، قَلْبُ الثعلبِ وعينُه يرتعشان والأسد يجيل بصرَه في الأعين الطامحة والوجوه المتعبة ثم قطع الببغاءُ الصمتَ فقال "أرِنا الغزالَ فإن كان كما قلتَ وافقناك وإلا جرى عليه ما يجري على غيره" فبادره الغرابُ ناهراً "أتشكّ في كلام الملك أيها الأحمق فكيف وقد رأيتُه أنا وهذا الثعلبُ وما جرَّب أحدٌ علينا كذبًا" فردّ الببغاء قائلاً "إنما طلبتُ ذلك ليقيني في مَلكنا العزيز وحبي له وأنت تعلم أني لن ينالني من الغزال شيءٌ بل إني صديقٌ قريبٌ لغزالةِ غابتنا وأرى بقاءه خيرًا لها ولكني أخشى على مَلِكنا مما يدور في الصدور ولا أحبُّ أن يُقال (سَبَقَ عفوُه رأيَنا) بل (اتَّبعَ صوتُ شهوتِنا صوتَ حكمته) ولا أحدٌ منّا يَنسى قضاءه في أمر أبيه ، والشمعة وإن أضاءت بيتَك لا تكفيك في طريق بعثرَتْه الريح" قال الأسد "أصبتَ يا ببغاء" وأمَرَ الثعلبَ فأحضر الغزالَ الذي لا يدري من الأمر شيئًا . اتسعَتْ عيون الحيوانات لمرأى الغزال وفاقت صورته ما رسموه في خيالهم فهلّلوا جميعاً "عاش الأسد ..عاش الأسد" هنا نظر الأسد إلى الببغاء نظرةَ اعجاب فأحنى رأسَه تواضعاً وتهلّلت أساريرُ الثعلب وغزى شُكرُ الأسد وجهَه ولسانَه وشعر نحوه بامتنانٍ كبير وتداخلت أصوات الحيوانات الفَرِحَة بمَلكِها الرشيدِ وانصرفوا يهنّئون الغزالَ بالعفو عنه فلمّا عَلِمَ ما كان

ينتظره اتسعت عيناه الجميلتان وتَنفّسَ الصعداء وبادر إلى الأسد فحيّاه وبالغ في شكره .

قضت الغابة يومها في الحديث عن الغزال وفي تهنئته لكنّ تهنئة الغزالة له كانت من نوعٍ خاصٍّ فما أن رأته حتى احمرّ وجهُها وتهدَّجَ صوتها وقالت عَبْر بَحَّةٍ شديدة "حمدًا لله على سلامتك" فشَكرَها بعينٍ لا ترتفع كثيرًا عن الأرض .

أصبح الثعلبُ المحبوبُ بطلَ الغابة الأوّل وصديقَ الغزال الأعزَّ وشَعُر في نفسه غبطةً وسرورًا لم يشعرهما من قبل .

وحدَه الحمارُ قال في نفسه "ماذا لو لم يكن الغزال من أهل الغابة البعيدة أكان الأسد تاركَه ؟! " لكنه رجع إلى نفسه فندم على ظنّه وقال معنّفًا إياها "ولو أنه فعل ذلك كرامةً لهم أليسوا مَن عَلّموه وربّوه وزوّجوه منهم ؟؟ أليس الغزالُ جميلاً وقويّاً حقًا ؟؟ ثم ما شأني أنا وأنا لا آكل اللحم ؟؟ .. بئس الرأي رأي الحمار"

****

الفصل الثالث

مهرجانٌ كبيرٌ أمام بيت الغزالة .. الطيور ترسم أشكالاً في السماء والأرنب يقفز كالبهلوان والزرافة من خلف العروسين تصنع من رقبتها قوساً يعبران تحته . زوجة الفيل الراحل وابنها أطلقا خرطوميهما بُوقَين طويلَين يعزفان لحناً ملكيًّا .. القرد واقفٌ على قدم واحدة فوق ظهر الحمار والثعلب يمرّ من بين أقدامه ، الحرباء تغيّر جلدها في سرعة مبهرة فيبدو كمصابيح تُنار وتُطفأ . تتوافد الحيوانات إلى الحفل واحداً تلو الآخر حتى من كانوا في الحقول البعيدة في أطراف الغابة جاؤا حاملين أغصاناً خضراء أضفَتْ على المكان بهجةً ونضارةً وتفاؤلاً وكيف لا يأتون والثعلب منذ يومين يطوف بخبر الحفل في الغابة كلّها وأن الأسد الكريم قد جعل هذا اليوم إجازة لهم فلا يعتذرون بل إنّ الأسدَ نفسَه وزوجتَه الملكة ومعهم الغراب

يدخلون الآن ساحة بيت الغزالة. وقف الجميعُ على الجانبَين وانطلق الخرطومان بالنفير الملكيّ مرةً أخرى وأقبل الثلاثةُ على العروسَين يهنئونهما ثم أشار الأسد إلى الجميع فاستكملوا الاحتفال وجلس يشاركهم الفرحة العارمة

لقاءُ حبيب بحبيب أحبَّه من النظرة الأولى ، واشتياقُ نفوسٍ لم تتخلّصْ بَعدُ من حزنها إلى نشوةٍ عابرة ، واحتياج أبدانٍ أخذَتْ نفْسَها بالجدِّ والتعب إلى متعة الكسل ولقاء الأصحابِ ثُمَّ الأمل في جيلٍ يرفع شأن الغابة ويزينها . كل ذلك جعل من زواجهما حدثًا تاريخيًّا في الغابة الفقيرة وأكسب الأسدَ حبًّا تستحقّه حكمتُه وبُعدُ نظره وعدلُه وتواضعُه لكنّ حبَّ الغابة كلّها لا يساوي حبَّ الغزال له فمَهْما فَعل من خير ومهما أثبت من ولاء ومهما ضاعف من جهد لن يوفّيه جميلَه وفضلَه عليه بل فضل الغابة الطيبة .. هكذا قال الغزال للغزالة بعدما انصرف الجمع وضمّهما البيتُ السعيد .

****

ذلك الحماس والعرفان جعله يستيقظ باكراً في الصباح كأن لم يكن عريس الأمس وخرج بهمّة إلى عمله ليفاجأ الجميع بحبّه لهم ويكافأهم على معروفهم .. تصحو الغابة مرّة أخرى على صيحة مروّعة .. سقط الغزال في نفس مكان الأسد الراحل

سقطة أودت بحياته مباشرة ووضعَت الغابةَ في صمتٍ ذاهل وجمَّدَت قلوبهم وعيونهم وأصواتهم .. الأسد وزوجته والغراب وجموع الحيوانات والطير تماثيل على حافة الحفرة التفوا ينظرون إلى الذي خُلِق ليموت ،إلى الحفرة التي لا تعرف الحبيب من الغريب ولا تفرّق بين جميل وذليل ،خرج ليحييها فأماتته . مندفعةً تشقّ الجموعَ إليه تريد أن ترمي نفسَها معه فيمنعونها تصرخ وتنفجر عينها بالدمع فيُبكي بكاؤها الجميعَ ويُجلسها اليأسُ على حافة الموت ذاهلةً كمَن فقَدَ عقلَه .. الغزالة المسكينة يكاد ينفطر قلبها كمدًا . وحدَه يرقب المشهد من بعيدٍ ولا يطرف منه جفنٌ أو تسيل منه دمعة واحدة حتى شكّوا فيه .. ذهب إليه القرد وهو يجرّ خطاه فما أن وصل إليه حتى سقط مغشيًّا عليه إنه الثعلب الذي فاقت الحادثةُ احتمالَه ولقّنه القَدَرُ درساً لن ينساه . شوكةٌ في صدر الغابة ستظلّ تؤلمهم فلا يستطيعون نزعَها .. غصّة وكآبة وأسى وصُبحٌ مظلم أكملَت به الغابة ليلتها السعيدة . فُرادى وجماعاتٍ يرقدون صامتين لا يعلمون ماذا يخبّئ لهم الغيب . وهم يفرّون من موتٍ إلى موت.

حاملاً بنفسه جثة الغزال يمشي الأسد وسط جثثهم الحية ولأول مرّة منذ وفاة أبيه ترى الغابةُ الدموعَ في عينيه ، وقف ولم يُنزل الغزال عن ظهره وحاوَلَ أن يقول شيئاً فلم يستطع

لكنهم فهموا ما يريد .. قانون الغابة مرّة أخرى ياله من غزالٍ مسكينٍ لكنهم هذه المرة هم من سيعفون عنه قالت دموعهم ذلك فدار الأسد على عقبيه وجثة الغزال تهتزّ على ظهره المتعَب ثم سار صوب الشاطئ ومن خلفه الغابة بأسرها.

****

- البحر أولى به

- الغزالة ستموت كمدًا ولولا الببغاء الذي لا يتركها لماتت جوعاً وقد امتنعت عن الطعام

- أرأيتم كيف كانت تنظر إلى الثعلب بعد الحادث .. وهو الذي لم يتركها يوم الحفل ؟

- لكن الحفرة .. مَن صنعها ؟؟ ألم يردمْها الغرابُ بعد موت الأسد !!

- قديمًا قرّر الملك أن الغراب لا يصلح للمراقبة فما بال القرد والثعلب معًا ؟؟

- لا تظلموهما فلعلّها دُبِّرت بليل الحفل

- الثعلب يكاد يقتل نفسه أما علمتم ماذا صنع من أجل بقاء الغزال حيًّا

- إنما يقتله ما عَلِمَه مِن شكّ الغزالة فيه

- كلّنا كنّا في الحفل فما شأن الثعلب ؟؟

- لعلّ صائدًا تسلّل إلينا بالليل

- وما نَفْعُ الصائدِ من صَيدٍ لن يناله ؟؟

الحزن والحيرة والخوف مشاعر تكتنف الغابةَ كلّها خاصّةً والثعلب طريح بيته يهذي حَبَسَه المرضُ عن عمله فأصبحت الحيوانات تَتَحسَّسُ موضعَ أقدامها وتتلفت خلفها وتلزم بيتها قبل الغروب .. فالآن يمكن للمتمردِين الثأر والحفرة تَسَعُ الجميع .

ذهب الأسد إلى الحفرة فردمها بنفسه ثم جمع الحيوانات حولها وقال لهم :

"إنّ الحذرَ لا يمنع قَدَرًا وإنّ الطباعَ ضِباعٌ تتسلّل إلى النفس وقد غرب ضميرُها فتفترس شرفَ العفّة والنزاهة ، ثم تصبح وما عُلم من أمرها شيءٌ ، وإني رأيت أن أكافأ صبركم وأثبّتَ شمسَ ضمائرِكم فلا تغرب فمن أطفأ بعد ذلك نورها أو حجب ضياءها فظلام البطون أولى به . لحم من الغابة البعيدة سيأتينا كل شهر على مركب لهم وسأتولى بنفسي استلامه وتوزيعه على مستحقّيه حتى إذا اشتدت شوكتنا وقويت أجسادنا سيرسلون إلينا بعضاً منهم فنقيم أعراسًا وزيجات

ونصير أنسابًا وأصهارًا ثم شعوباً وقبائل ثم تخرج كل قبيلة من بينها لحمها وطعامها وتكفي نفسها "

حالة من التوجّس ظهرت على أعين الحيوانات .. تبدو الفكرة عادلةً وطموحةً ولكن شعوراً ما بالنفور سرى فيهم لا يعلمون له سبباً ربما اختلاف الطبع والعادات .. ولكن التأمّل في حال مَلكهم الذي ترك الغابة هارباً من ظلمها وجهلها ثم عاد إليها حاملاً شعلة الخير يكفي ليبعث الراحة في نفوسهم ولا يضير الشاةَ سَلخُها بعد ذَبْحِها فحالهم لا ينتظرون أسوأ منها وقد بدأت الغابة تعود سيرتها الأولى .

الصمتُ دَفَعَ الأسدَ لإكمال حديثه فقال "حُزن الثعلب ومرضُه لا يشفعان لتقصيره ولا يمحوان ذنبه وكذلك القرد" قاطعه الغراب قائلاً "عذرًا يا مولاي ولكنّ الحادثة وقعت صبيحة الحفل وقد جعلتَ هذا اليوم عطلة لنا جميعاً" ردّ الأسد "إنكم تتكلمون كأنكم تنبؤني بما لا علم لي به .. إنما الليل كان عطلة لهما من المراقبة فما الذي دفعهما أن يتركا عملهما في النهار ؟ فحفرة كهذه لا يكفيها ليلة واحدة" أسرع الفيل الصغير "هما أقربنا للغزال الراحل والغزالة وقد انشغلا معهما بإعداد الحفل منذ الصباح" قال الأسد "الغزالة نفسها لا تعفيهما من الذنب خاصّة الثعلب فإن تشفعوا لهما الآن لحبٍّ

في نفوسكم أو شفقة فغداً تشفعون لمن لا حبّ له ويطلب المفرّطون العدلَ فلا أملك إلا العفو فاحسبوا للسيئة حسابها قبل أن تُبهر الحسنةُ أعينَكم" وصدر القرار للغراب بحبس القرد وأن يتبعه الثعلب بعد معافاته" سألت البقرةُ "ومن سيحمي الداخل والخارج ؟" قال الأسدُ "ما في المركب من خير سيمنع كلَّ طامعٍ من النظرِ إليكم .. وسيعود الحبيسان لعملهما بعدما يستوفيان العقوبةَ .. فلا تفزعي "

انصرف الجميعُ إلى عمله واجمًا لا يدرون أيفرحون بالمعونة التي تحمي ضعفاءهم وترضي أقوياءهم أم يحزنون على الحبيسَين الحبيبَين والذَّين لم يزد حبسُهما في النفوس إلا محبة . وحدَه الحمار قال في نفسه " ماذا لو لم يكن الغزال الهارب هو الذي مات أكان الأسد سيقضي بما قضى ؟! " ثم رجع إلى نفسه فندم على ظنّه وقال "إنهما يعاقبان بتقصيرهما ولا شأن للغزال في ذلك وكفى بالأسد حكمةً أن أوجد في غيابهما ما يكفي الطامعِين فلا تقع جريمة ولا تفتح فمَها الحفرةُ القديمة .. نِعم الرأي رأي الأسد "

****

مع صباح أول أيام الشهر كان الأسد يستقبل مركب اللحم ثم اجتمعت الحيوانات أمام عرينه عند الظهر وأخذ يوزّع عليهم

نصيبهم وقال للغراب وهو يناوله قطعة لحم "هذه للثعلب في سجنه" صاحوا جميعاً "عاش الملك الرحيم" ثم استأذن الغراب في كلمة فقال "إني ناصحكم فاسمعوا .. خذوا من يومكم لغدكم وقدّروا الفرحة بقدرها فالعاقل من جاوز عزمُه يومَه ولا يفلح فيكم إلا الرشيد" نظرة الإعجاب في عيونهم تؤكّد حكمتَه وتذكّرهم بقَدْرِه وعلمه. فعلّقَ الأسد "أما قلتُ لكم احفظوا للغراب حقّه .. ولكني أزيد على قوله قولاً فاسمعوني.. إنّ العينَ إذا رأت ما لغيرها طمعَت ولهذا قررتُ من الشهر القادم أن أؤدي نصيب كل منكم إلى داره ولكني لا أعصم نفسي من نسيانٍ أو سهوٍ ولذا سيُكلّفُ الغرابُ بتقريرٍ يخبرني إياه في ظهر يومِ اللحم" فرحة الحيوانات أنستْهم أحزانهم وصاروا يتبادلون التهاني حتى إن البقرة داعبَتْ الذئبَ قائلة "مَن صبر نال" فنظر إليها معتذرًا عن كلامه السابق.

قراراتُ الأسد الصائبةُ وحكمتُه العميقةُ أثلجَت صدورَهم إلا أنّ القرد في سجنه كان مستاءً أيما استياء وصرّح للثعلب بهواجسه فقال "أي ذنب جنيتُ أنا لأُحبَس وما لي بأمر الداخل من شأن" أجاب الثعلب بعدم اهتمام "لعله ظنٌّ صائدًا فَعَلَها والصائد من شأنك" زفر القرد وقال "أهذا جزاء فرحتنا وحبّنا أليس يكفي موته عقاباً لنا" فرّتْ دمعةٌ كبيرة من عين الثعلب

وقال "رحِمَه الله .. وهَدى الغزالة" نهض القرد وأخذ يتحرك في عصبية وقال "والغابة الجبانة كيف تقبل بهذا الرأي" قال الثعلب "اهدأ يا قرد فقد فات الكثير وغدًا نعود لعملنا" ثم قال بصوت خفيض "لكني لن أستطيع أن أسير بجوار الشاطئ " قال القرد "عُد أنت إذا أردت" قال الثعلب "ماذا أصابك يا صاحبي هل نُزع حبّ الغابة من قلبك وهل نسيتَ أن الغابة مازالت تحتاج إليك ، ما عَلمتُكَ ممن يُعميه الغضبُ ويُنسيه فضائلَ الفضلاء وما أرى الأسدَ إلا مصيباً فارجع إلى رُشْدِك" كان الغراب قادمًا بينما يقول القرد "وربّ الغابة لا يفوت عقابي سدًى "

****

أسرَعَ الببغاء إلى الشاطئ في أوّل أيام الشهر تسبقه فرحته ليبلغ الأسد أن الغزالة قد أنجبت ابنةً لم تشهد الغابة مثلها فأمره الأسد بنشر الخبر في الغابة والإعداد لحفل كبير يليق بهذه المناسبة السعيدة وأنه قد عفا عن الحبيسَين كرامةً للغزالة الصغيرة ، وبينما يستقبل الأسدُ المركبَ ويوزِّعُ اللحم كان الببغاء يلفّ الغابة في سرعةٍ هائلة ثم أخبر الغرابَ بقرار الأسد فأطلَقَ سراحَ القردِ والثعلبِ . خرج الثعلبُ وقلبه يطير به إلى بيت الغزالة و لم يمنعه ظنُّها من رؤية ابنة صاحبه فانطلق والدمع

في عينيه بينما خرج القرد وهو يقول "بئس العفو .. أكان يُؤمِّلُ أن يتركنا في السجن ما حَيينا إنما خرجْنا لأننا أبرياء" أهمل الغرابُ كلامَه وذهب ليُعدّ التقرير للأسد .

****

وفي الليل كان الحفل صاخبًا ولم يُخفِ الجميعُ فرحته بعفو الأسد وانطلقوا يهنّئون الثعلب والقرد لكن نظرات القرد للأسد أغضبَت أهلَ الغابة ولسان حالهم يقول "يالكَ من ناكرٍ للجميل" لاحَظَ الحضورُ أيضاً أنّ الثعلب ما يكاد يظهر حتى يختفي فعل ذلك مراراً وفي مرّة سأله الأسد ماذا دهاك فهمس في أذنه "لا أريد لها مصير أبيها" فابتسم له الأسد ثم نظر إلى الجمع وقال "ألن نرى ابنتنا الصغيرة ؟؟" فأفسَحَ الجميع طريقاً للأسد ودخل على الغزالة وابنتها فما أن رآها حتى اتسعت عيناه ببريق رهيب وقرَّب رأسَه منها يداعبها فبَهَرَه جمالُها وجلدُها ثم قال "سيكون لهذه الغزالة شأن بشرى لكم يا أهل الغابة غدًا لحسدكم الغابات جميعها" ثم أشار إلى الملكة فناولته غصنًا ملفوفًا على هيئة العقد وفيه قطعة من قرن أبيها الغزال الراحل . وضع الأسدُ الطوقَ حول رقبة الصغيرة وقال لأمها "وجدتُ قرنَه مكسوراً وأنا أخرجه من الحفرة فاحتفظتُ به

ليوم كهذا" بكت الغزالة لما رأت القرن المكسور لكن نظرة امتنانٍ بالغٍ كانت في عينها للأسد الطيب.

****

شهر مضى والغابة تسير نحو الفرحة يوماً بعد يوم ويرقبون الغزالة الصغيرة التي ستجعل من غابتهم حديث الغابات. الثعلب يكفيه الآن أن يمرّ مرّة أو مرتين في اليوم لكنه لا يقترب من الشاطئ إلا قليلاً لحاجة في نفسه والقرد استجاب لإلحاح الثعلب وعاد إلى الشجرة لكنه لم يَعُدْ مَرِحًا كما كان يراه الجميع ساكنًا شاردًا ويحاولون ممازحته فلا يستجيب.

****

(فَجْرُ يومِ اللحم) والغزالة تستيقظ من نومها على صوت الأسد أمام بيتها فتأخذها الدهشة وتلجم لسانها المفاجأة وتقول في اضطراب "سيدي الملك تفضَّلْ ما هذا الشرف العظيم" أجاب وهو لم يزل واقفاً على الباب "جئتُ لأرى ابنتي واطمئنّ عليها" فقالت الغزالة "في هذا اليوم وفي هذا الوقت ، أليس اليوم يوم اللحم ؟" فقال "بلى ولكن موعد المركب لم يأت بعد ووجدتُ نفسي قريباً من بيتكم فآثرتُ الاطمئنان عليها وملاعبتَها" قالت الغزالة في خجل "سيدي الملك أتلاعبُ ابنتي بنفسك" ابتسم الأسد وقال "لا تقولي ابنتك إنها ابنة الغابة

كلها وقد كان أبوها فخرَ الغابة وحبيبَها" أثَّر كلامُ الأسدِ في الغزالة فقالت بعدما أحضرَت الصغيرة له "ولكن أرجوكَ لا تبتعد بها فأنا لا آمن عليها خاصة في هذا اليوم" أومأ الأسدُ برأسه موافقًا وظل يلاعب الصغيرة أمام بيت الغزالة وهي تراقبهما من نافذة البيت حتى اطمئنَّت ثم أخذها النوم والتعب فاستسلمَتْ للراحة وأغلقَتْ عينيها على صورة زوجها الراحل وتمنَّت أن تفتحهما فتراه هو الذي يلاعب الصغيرة . لكنها لَمّا فتحَت عينيها لم تجد زوجَها ولا ابنتَها ولا الأسد .

****

الفصل الرابع

هرعت الغزالة إلى الببغاء وقد ارتفعت الشمسُ ووصلَت إليه لاهثةً لا يَفهم كلامَها لكن إشاراتها الموحية كانت تعني ابنتها الصغيرة فبادَرها قائلاً : ماذا حدث لها هل أصابها مكروه ؟ وكاد يطير إلى البيت فقالت بصعوبة :

– هي ليست في البيت وهذا ما أتيتكَ من أجله

– كيف حدث ذلك وكيف تغفلين عنها ؟

– أتى الأسد إلينا في الفجر وقال إنه سيلاعبها أمام البيت ثم يردّها

– فجر يوم اللحم ..؟!! إنه يومٌ ينشغل فيه عن الجميع

– قلتُ له ذلك .. فقال إنّ موعد المركب لم يأتِ بَعد

– وهل رَدَّها إليكِ ؟؟

– لا أدري .. لقد غلبني النوم فما أفقتُ إلا على غيابها

– هيّا بنا إلى الأسد نسأله لعله خاف أن يتركها وأنت نائمة فأخذها معه ولكن هل فتشتِ البيت جيدًا ؟

– لم أدَعْ ركنًا فيه ولا حَوْلَه إلا وفتَّشتُه

– إذن هيّا بنا

وانطَلَقا إلى عرين الأسد الذي كان مشغولاً في تقسيم اللحم فما أن رآهما من بعيد حتى خرج إليهما مفزوعًا لما قرأ في شكلهما الذعر وبادرهما "ماذا حدث ؟" قالت الغزالة "ابنتي يا مولاي ليست في البيت" ردّ الأسد "كيف ذلك لقد أوصلتُها بنفسي إليه ولكني لم أشأ أن أوقظك" ارتفع بكاء الغزالة وتحشرج صوتها وارتبكت حركاتها فقال الببغاء "ظننا أنها معك" قال الأسد "فكَّرتُ أن أبقيها معي فعلاً لكني خشيتُ أن أنشغل عنها بمركب اللحم فآثرتُ أن تبقى مع أمها ولم أرها من وقتها" ثم قال وقد التمعَت عيناه "لا تخافا فلاشكّ أنّ القرد رآها من فوق شجرته فأتياه يدلّكما ثم عُودا إليّ لأطمئنّ عليها".

في طريقهما مسرعَين إلى شجرة القرد .. والغزالة تضربها الهواجس وتفزعها الظنون ويسيل منها الدمع وتزداد حالتها سوءاً وضَعفُها ضعفًا ، نادى الببغاء على القرد من تحت الشجرة ولم ينتظر ردًّا فحلّقَ إلى أعلاها ولكنّ القردَ لم يكن

على شجرته . بدأ الخوفُ الحقيقيّ يتسلّل إلى الببغاء وملامحُ مؤامرةٍ تكتمل في ذهنه "أيكون القرد خطفها ولكن أين ذهب بها وكيف يفعل القرد ذلك وهو يحبها حبًّا شديداً " وكان لابد أن يعود إلى الغزالة الحائرة وقال لها في اهتمامٍ وقَلَقٍ واضحَين "القرد ليس على شجرته" بُهِتَت الغزالة وترنَّحَت فنصحها الببغاء أن تظلَّ في بيتها وهو سيتولى البحث عن الصغيرة لكنها رفضَتْ إلا أن تظلَّ معه وعادا مرَّةً أخرى إلى الأسد ليخبراه فقابلاه وهو حاملٌ بعض اللحم ذاهباً به إلى أحد البيوت فلما أخبره الببغاء سقط منه اللحم واتسعت عيناه وقال آمرًا "فتِّشا الغابةَ بأسْرِها وسألحق بكما ريثما انتهي من اللحم" ثم قال بصوتٍ مسموع "القرد الخائن" . انطلَقَ الببغاء والغزالة كلٌّ في صَوْبٍ وقابل الببغاءُ في طريقه الثعلبَ فأخبره الخبر فانطلق الثعلبُ معه يبحثان واستعاد الثعلب في نفسه حديثه مع القرد في السجن لكنه قال وما شأن الغزالة الصغيرة في ذلك ثم أحسّ بالخطر وراوده حادث أبيها وشَكُّ أمّها فيه من قبل فقطع الغابة طولها وعرضها حتى وصل إلى أطرافها عند الزرع فلم يجد شيئًا ولا الببغاء الذي حلَّقَ فوق الغابة رأى شيئاً ولا الغزالة التي ذهبَتْ إلى بيت القرد الغائب وجدَتْــه هناك ولا علم أحدٌ مكانَه ممن سألتهم عنه ووجدوا أنفسهم أمام عرين الأسد على غير اتفاق وكان قد أنهى جولته فنَظَرَت الغزالة إلى الثعلب نظرةً

ذات معنى لكنّ غيابَ القردِ منعَها من التعليق وقد أكدّ ذلك الأسد فقال "انزعي ما يدور في صدرك فقد اتضح الخائن وقد أنبأني الغراب أنه سمعه في سجنه يقول "لا يفوت عقابي سُدًى" ثم شرد قليلاً كأنه يفكّر وقال "ليس أمامنا الآن إلا حكيم الغابة وشيخها فلعله يهتدي بعلمه إلى شيء" ذهبوا جميعًا إلى الغراب وحَدَّثَته الغزالة منهارةً وقالت له في توسّل "أرجوك افعل شيئًا لا بد أن يكون لديك شيء .. أرجوك " ردّ الغراب سريعًا "سأحاول" فقال الأسد في تحريض "لا تدَّخرْ من علمكَ وحكمتكَ شيئًا فالمصاب كبير" فقال الغراب "الأمر بَيِّنٌ يا مولاي أعانني الله على الفائدة ولكنني أحتاج بيضتَين من بيض البطة" قال الثعلب "ولِمَ ؟؟" قال "سأخلطه ببعض العشب المبلول ثمّ ...." قاطعه "ثمّ ماذا ؟؟ " فقالت الغزالة "اصمت يا ثعلب" وانفعل الغراب وقال له "هذا ليس شأنكم فقط أحضروا ما طلبتُ منكم" ثمّ قال مستدركًا "عذرًا يا مولاي" . انطلَقوا جميعاً ومعهم الأسد إلى البطة الراقدة على البيض وقالت لها الغزالة "أما علمت يا بطة ما وقع لابنتي" فأجابت "بلى علمتُ وساءني أني لا أغادر البيض وإلا لبحثتُ معكم فلا شيء أعزّ على النفس من أبنائها" كلامها جعلهم يتردَّدون في طلبهم ولكنّ الثعلب بادَرَها "أيتها البطة الطيبة إنّ الغراب يحتاج مما ترقُدين عليه إلى بيضتَين اثنتين" فقالت محتجّة "ألهذا جئتم ؟

لكني لن أعطيكم من أبنائي شيئاً" ثم وجَّهت كلامَها إلى الغزالة "كيف تجرؤين على طلب كهذا وترضين لي ما أبَيته لنفسك" ردّت الغزالة في نفاد صبر "ما أنا التي طلبت" قالت البطة "إذن فارجعوا إلى الغراب فقولوا له يَعدل عن طَلَبه" فأسرع إليه الثعلب ثم رجع إليهم وهو يقول "الغراب يأبى إلا بيضتَين من بيض البطة ويقول لن يصلح الأمر بدونهما" قال الأسد "أإذا طلبتُهما أنا سترضين ؟؟ " قالت البطة "سيدي الملك إني لأهْوَن عليّ أن أقتل نفسي من أن أردّ لكَ طلبًا لكنهم أبنائي كما هي ابنتها" ثم قالت في انفعال "أتمنع حياتَين من النور من أجل حياة ربما يكون الظلامُ أكَلَها" ثم أحسَّت بفداحة قولها فاعتذرَت وقالت للغزالة "سامحيني .. إنما أعماني الغضب ولسوف تجدونها إنْ شاء ربُّ الغابةِ لكني لن أفرِّطَ في البيض"

****

بين إصرار الغراب ورفض البطة انقضى اليوم بلا فائدة وقد أنهك التعب الجميع فعادوا إلى منازلهم خائبين إلا الثعلب فقد قال لهم"أمّا أنا فلن أعود إلا بها" . الغزالة الشاحبة لا يجفّ دمعها والحزن يأكلها وهي لا تأكل ما يقدّمه لها الببغاء الذي لا يتركها وقالت له "أقسمُ إنّ الغراب لم يصرّ على طلبه وإنّ الثعلب خدَعَنا لمّا بعثناه إليه" نهرَها الببغاء "النَّفْس أمَةُ هواها

والغضبُ جلاّدٌ أعمى وسوءُ الظنّ هاويةٌ يُعلَم خطرُها في قاعها وإنّ القرد لأحقّ بالشكّ منه فافهمي" قالت الغزالة "لنَذهَبنَّ غدًا إلى الغراب فنتبيَّن الأمر لكنّي أخشى على ابنتي من ذلك الهائم في الليل" ولولا أنّ الببغاء منعها لقامت تتبع الثعلب .

أخذ الثعلب يلفّ الغابة في الظلام حتى طلع عليه الفجر فذهب إلى البطة ووقف أمامها فنظرَت إليه بأسى وقالت له "كنتُ سأرسل في طلبك ..إني رجعتُ إلى نفسي فكرهتُها فحُزْني على بيضتَين يُعوِّضُه حياةُ إخوهم وكثرهم ، أمّا حُزْنُ الغابة على الغزالة الضائعة الوحيدة لا يعوّضه شيء . فخُذْهما إلى الغراب وقل له إنّ البطة لن تفرِّط في شيء بعدهما " .

أشرقَت الشمس مع ابتسامة الثعلب الشاكرة وقالت له البطة "من الذي سيحملهما ؟؟" فأجاب "أنا .. فلن أنتظر أحدًا والغزالة تكاد تموت قلقاً" وخفض رأسه إلى الأرض ودحرجت البطة بيضةً في إذنه اليمنى وأخرى في أذنه اليسرى فنهض وهو يقول "لو كان القرد هنا لأمْسَكَهما بيديه" ثم عاوده ظنه فقال "سأقطعهما له إن كان هو من خطفها" ثم نظر إلى البطة وقد خفضَت رأسها لتداري دموعها وقال "لن تنسى الغابة لكِ هذا الموقف أبدًا " ثم اتَّجَهَ في حذرٍ إلى الغراب وكان يعلم أنه يذهب إلى السجن في الصباح فلما رآه الغرابُ قادمًا من بعيدٍ

نادى بأعلى صوته "هل مَنَحَتكَ البطةُ البيض" حتى إنّ الببغاء والغزالة الذين أخرَجَهما غيابُ الثعلب وشروقُ الشمس سمعاه وهما في طريقهما إليه فأسرعا ليَرَيا الثعلب ذاهبًا إليه ولكنّ الثعلب وقد صَمَّ البيضُ أذنيه ظنّه يستعجله فأسرع الخطى فاهتزّ البيضُ ووقع .

****

حَبْسُ الثعلبِ كان الحلَّ الوحيدَ الذي يمكن أن يُسكِت الغزالةَ الغاضبةَ فقد تجاوز غضبُها الحدَّ واتهمَت الثعلبَ بالمؤامرة بل واتهمَته صراحةً بتدبير موت زوجها من قبل وهنا ثار الببغاء وقال لها "وما شأن الثعلب بهما إنّ الصدمة أعمَت قلبَكِ فنسيت ما فعله من أجلكما وأنت تعلمين كيف لم يَنَمْ بالليل من أجل ابنتكِ بل سارَعَ لنَقْلِ البيض بنفسه و لم ينتظر أحدًا " فقالت الغزالة "بل خشي أن ينقلَه غيرُه فيوصله وبجد ابنتي وهو يعلم أنّ البطة لن تمنحنا غيرَه وما صنعه معي وزوجي إنما هو كمن يأكل الشاة وينام على جلدها فإنما صنعه ليرتدي ثوب البريء وهو عليه قاصر" ردّ الببغاء "أفيقي يا غزالة فلولاه ما أعطتنا البطة شيئًا ولا يختلف اثنان في الغابة على صدق الثعلب وولائه ومحبّته وكيف يريد بزوجك شرًّا وهو غير نائله ثم يرضى بحبسه على ذنبٍ لم يفعله ويخرج وليس في قلبه سوءاً بل

كان أوّلَ من جاء ليَشهَدَ ابنَتَك" لم يزدها كلام الببغاء إلا ثورةً وصياحًا وأخذت تقول "بل كانت البطة ستفعل مع أيٍّ منّا .. ما كان لمثله أن يُعفى عنه .. و لم يزل طبعُه سيدَّه "

إلى هنا وأحسّ الثعلب بغصَّة في حلقه ويَئسَ من الدفاع عن نفسه وكرّر نظرَه إلى الغراب ليَرُدَّ عنه فلم يفعل وكأنّ الغرابَ يتهمه هو الآخر فطلب منه أن يضعه في الحبس فما عاد يريد الغابة ولا أهلَها فقال له الأسد الذي وجدوه أمامهم "إن كنتَ تريد العزلة فبَيتُكَ أولى بك" ولم يُكَرِّرْها . فرَدَّ الثعلب وهو ينظر إلى الغزالة "بل السجن أولى بالماكرين وحسبي أن يريح ذلك الغزالة فتهدأ حتى ترى ابنتها وتضمّها إليها" شعرت الغزالة بالحرج الشديد لكنها أدارت وجهها عنهم وانصرفت إلى بيتها وهي تقول "لا خير في غابة طويلة آذانها صغيرة عيونها..لسانٌ ماكر أشدّ علينا من نابٍ كاشر "

****

وحيدًا في سجنه تعصف الأفكار به ويأخذه الحزن كلَّ مأخذ .. ولكنه لا يمنع نفسه أن يسأل الغراب عن الغزالة وابنتها .. حتى إنّ الغرابَ أصبح يقدِّم له طعام اليوم كلَّه مرّة واحدة ليهرب من سؤاله المتكرّر .

الليل أقسى عليه من النهار وظنّه في القرد أقسى من الليل وكلام الغزالة أقسى من ظنّه لكنّ خوفه على الصغيرة هو القسوة بعينها . ما أن تخطر بباله حتى تأخذه حالة من الوجوم والقلق ويلفّ السجن مرارًا وتكرارًا ويقلّب عينه في أركانه كأنه يبحث عنها ثم يجلسه التعب إلى إحدى حوائطه .. الغريب أنه في هذه الليلة ولمّا أسند رأسه إلى الحائط سمع صوتها .. إنها الغزالة الصغيرة ، ظنّ للوهلة الأولى أنه الوهم وأن خوفه عليها جعله يتخيل صوتها خاصة والصوت يبدو مجروحًا متقطّعًا ربّما من أثر التعب والجوع .. هزّ رأسه بعنف كأنه يتخلّص من وهمه لكن الصوت عاوده قويًّا واضحًا و لم يزل مجروحًا . فرحة مختلطة بالحيرة "إنها حيّة ،إنها في الغابة ، القرد برئ ، القدر يختاره هو وليس سواه ليعيد للغابة بهجتها ويبدّد أحزانها ، ليتني لم أكن مسجونًا ، ماذا أفعل الآن؟ لابد أن أخبر أحدًا قبل أن يغيب الصوت ولكن الغراب ليس هنا إنه ينام في بيته.. الغابة كلها نائمة لعلني لو صرختُ يسمعني أحدهم فيساعدني، وربما أفزع صوتي الغزالة الصغيرة فتفرّ مرّة أخرى ، هل أنتظر الصباح عندما يعود الغراب وتصحو الغابة ؟" الصوت مازال يأتيه متتابعًا فيطمئن قلبه وتزداد حيرته في نفس الوقت خاصّة إذا انقطع الصوت عن تتابعه عندها يدّق الثعلب على حائط السجن فيعود الصوت كأنه يردّ عليه لكنّه

ردٌّ مخنوقٌ كأنّ شيئًا يُطوِّق رقبتَها بشدَّة .. هذا الهاجس زاد من خوفه وأحسّ أن الوقت يداهمه .. وفجأةً وجد تراب السجن كأنه يهتزّ وعَلِم سريعًا أنه الأرنب يحفر لنفسه نفقًا ويبدو أن جذور الأشجار قد أعاقته و لم يَدَع الثعلبُ الفرصةَ تمرّ فنبش التراب وقبض علي أذنيّ الأرنب وأخرجه من نفقه .. الدهشة في عين الأرنب تحوَّلت إلى خوفٍ بالغٍ وقال في نفسه "أيكون الثعلب هو سفّاح الغابة الخفيّ " واهتزّ جسمُه بشدة من هَوْلِ الفكرة فصاح والرعب يملأ صوته "أين أنا ؟؟ وربِّ الغابة ما قصدتُ إزعاجَكَ فأنا لا أعلم تربة السجن من تربة غيره أرجوك لا تأكلني فلحمي لن يكفيك .. أعدُكَ ألا أعود إلى هنا .. دعني ولن أبلغ عنك" فحَرَّرَه الثعلب من فمه وقال "اهدأ أيها الغبي الثرثار .. فما أنا بآكلك ومن قال لك إني أخون عهد الغابة ولو كنتُ مسجونًا ؟؟ " فردّ الأرنب "الغابة كلها الآن تعتقد أن لك يدًا في أمر الغزالة ولا تَنْسَ أمر البيضتين فما من أحدٍ يَسأل عن حبسك إلا ويخبره الغراب بما حدث" فأسرع الثعلب قائلاً بينما الأرنب يجيل بصره في السجن بعد أن اطمأنّ "لكني لا ذنب لي في أمر البيضتين إنما ظننتُ الغرابَ يستعجلني فأسرَعْت" قال الأرنب "دعْكَ من هذا وقل لي كيف يسجنون أمثالي ولا سجن إلا وله أرض ولا أرض إلا ولي فيها نفق" قال الثعلب "مثلك يسجن في هذا"

وأشار برأسه إلى صندوق معلّق في أعلى السجن" ثم انتبه الثعلب أنه نسي أمر الغزالة فقال "يالكَ من أرنب ملعون" ارتجف الأرنب وحاوَلَ الهربَ فأوقَفَه الثعلب وقال "اسمع إنما أرسلَكَ إليّ ربُّ الغابة لتساعدني" قال الأرنب "تقصد لتأكلني" نهرَه الثعلبُ "لإن لم تأكل أنت لسانَكَ هذا فوربِّ الغابة لا يردُّني عنك عهدُ ولا قانونٌ فاسمع ما أطلبه منكَ ولا تقاطعْني ونفّذْه كما سمعتَه" انتبهَ الأرنبُ ولم يَنْبسْ ببنْتِ شَفَة . قال الثعلب "تذهب الآن إلى الغزالة في بيتها وتقول لها أدركي الثعلبَ في سجْنه لأمرٍ خطير" قال الأرنب "عذرًا يا ثعلب لكن الغزالة لم تَعُدْ تَثِق بكَ " فقال "إنْ عَلمتَ من جوابها ذلك فقل لها لا يمنعك الغمامُ أن تدركي الشمس" ارتسم الغباءُ على وجه الأرنب لكنه خرج من بين القضبان واندفع إلى الغزالة يخبرها بينما أراد الثعلب أن يطمئنَّ على الصغيرة فعاوَدَ الدّقَّ فعاد الصوتُ فاستبشر الثعلب خيرًا وجلس ينتظر الغزالة في لهفة ودعا من قلبه ألا يمنعها سوءُ ظنِّها .

الغزالة والببغاء قادمَين من الظلام وصوتُ لهاثهما يشقُّ سكونَ الليل . هَمَّ الثعلب إليهما لكن القضبان حجزته فوصلا إليه والسؤال يقفز من عينيهما فبادرهما الثعلب بصوت خفيض "هل جاء الأرنب معكما" أجابت "لا بل خاف أن يعود إليك

ولكني فهمتُ من كلامه أنّ ثمّةَ شيئًا عن ابنتي أليس كذلك" قال "نعم .. هي هنا بجوار السجن" لم تضبط الغزالة صوتها فخرج عاليًا "ماذا تقول ابنتي هنا .. أين هي" وأخذَت تتلفّت فقال الثعلب "اخفضي صوتَكِ واصبري وستسمعين بنَفْسِكِ" دَقّ الثعلب مستدعياً صوتها ولكن الصوت لم يأت فقال "لا تقلقا فستجيب الآن .. مسكينة يبدو صوتها مجروحاً " قالت الغزالة "ابنتي الحبيبة لعلّ أحدًا طَوَّقَها" وهَمَسَ الببغاءُ للثعلب وهم ينتظرون صوت الغزالة "لكن لماذا لم ترسل إلى الغراب فيخرجك وتجدالها ؟" قال الثعلب "إنما أردتُ أن تجدَها أمُّها فلا تفزع الصغيرة وتفرّ .. وهذا أيضًا ما جعلني أخفي عن الأرنب الأمر" ثمّ همس في أذن الببغاء "والحقّ أني خشيتُ أن يتكاسل الغراب عنّي ويظنّه وهمًا أصابني فلا أستبعد – وقد قطع عني أخباركم- ألا يأتيني إلا مع شروق الشمس كما أنني قد ضاق صدري دُونَه بعدما أشاعه في الغابة من أمر البيضتَين دون الدفاع عنّي وهو يعلم أنّي بريء" فردَّ الببغاء "بل الحقّ يا صاحبي أنّكَ أردتَ أن تُظهر براءتُكَ وفضلُكَ على لسان شانئكَ فلا يبقى في نفوس الغابة حَرَجٌ منك ويعودون إلى حبهم القديم" قطع حديثَهما سؤالُ الغزالة "هي لا تجيب أيكون مكروه أصابها ؟؟ " سارع الثعلب "لعلها نائمة" وعاوَدَ الدَّقَّ فلم يأت الصوت . يمرّ الوقت والثعلب يبدو عليه التوتر والقلق

والصوتُ لا يجيب. فأسرَعَت الغزالة ونادت عليها وكرَّرَت النداء مرات ومرات وكرّر الثعلبُ الدقّ وارتبكوا جميعًا وصوت الغزالة لا يبين . يردّ الثعلب مدافعًا عن نفسه "وربِّ الغابة لقد سمعتُ صوتها" قالت الغزالة وقد فقدَت الأمل "أتقسم بربِّ الغابة يا خائن أما كفاكَ ما فَعَلتَه من قبل حتى تصنع من قلبي فريسةً لك تضعها بين أنيابك فلا أنت آكلها ولا أنت تاركها وكنتَ تُبدي ما تُبدي من حُبِّك لي ولزوجي وابنتي ثمّ ها أنا يدفعني غبائي فأصدقك بعد ما كان من أمرك .. أنت لا يكفيك إلا أن تُسحَن روحُك في بطنٍ نجسة" ثم خاطبَت الببغاء "قلتُ لكَ إنه يكذب وإنما يريد أن تذهب نفسي على ابنتي حسرات فدافعتَ عنه وأشفقتَ على خلّك القديم" خفض الببغاءُ رأسَه ولم يُحرْ جوابًا . فأكمَلَت الغزالةُ "لكني لن أدعَكَ تفرّ بفعلَتكَ هكذا" وانطلقَت إلى عرين الأسد وتَبعَها الببغاء دون أن يلتفت إلى الثعلب . وأخذ الثعلب يصيح "وربِّ الغابة قد سمعتُها. "

عاد الأسدُ ومعه الببغاء والغزالة وقد أشرقَت الشمسُ وكان الغراب أمام السجن كأنه ينتظرهم . خاطَبَ الأسدُ الثعلبَ مباشرةً "أصحيحٌ ما تحكي الغزالةُ يا ثعلب" فردَّ الثعلبُ وهو يبكي بحرقة "وربِّ الغابة قد سمعتُ صوتها" قال الأسد "أنت

تعلم أنّ من يقسم بربّ الغابة كاذبًا يأتيه العقاب من حيث لا يحتسب" قال الثعلب "ولذلك أقسمُ به" قاطَعَت الغزالة "يا مولاي إنّما يخاف عقوبتَه من عَلِمَ قدرَه فلا تجعَلْ له في قَسَمِه مخرجًا" قال الأسد في هدوء "لعلَّ وهمًا أصابكَ فتَخَيَّلتَ صوتَها فإنّ الأرنب يقول إنّه لم يسمع شيئًا" قال الثعلب في ندم "ليتني أسمعتُه صوتَها" قال الغراب "عذرًا يا مولاي ولكنّ كلام الثعلب يردّ بعضُه بعضًا فإن كان صوتُها مخنوقًا كما يزعم فلا بدّ أنّ أحدًا خَطَفَها وإنْ كان أحدٌ خطفها فكيف يقترب بها من السجن ؟ " جادَله الأسد "لعلّها فرَّت منه " فردّ الغراب "لا يمكن لأحد أن يختبئ بين هذه الأشجار الملتفة الكثيفة فإنما بنينا السجن بينها لمناعتها وارتفاعها فكيف لغزالة صغيرة أن تخترقها؟؟ بل إنّ الأرنب الذي يخترق الأرض لا يمكنه أن يجتاز جذور هذه الأشجار الضخمة. "

عندما أنهى الغرابُ كلامَه كانت الحيوانات قد اجتمعَتْ ووجوههم تنطق بحكمة الغراب وتنتظر قرار الأسد وتمتلئ بالشفقة على الثعلب المسكين حتى إنّ بعضهم تمتم في نفسه "لقد جُنّ الثعلب" وأخيرًا أمر الأسدُ الغرابَ بتجديد حَبْسِ الثعلب وتشديد المراقبة عليه وأمَرَ الببغاءَ أن يأخذ الغزالةَ إلى بيتها ثمّ نهق الحمارُ فقال له الأسد "هل لك رأيٌ يا حمار ؟ "

فقال مرتبكًا وكأنه يردّ عن نفسه تهمة "أنا..لا يا سيدي أبدًا "
وفي نفسه كان يقول "لو لم تكن الغزالة هي التي ضاعت أكان
الأسد سيحكم دون أن يُفتِّشَ ما بين الأشجار؟" ثم رجع إلى
نفسه فندم على سوء ظنه وقال "إنما الأشجار لا يمكن أن
أجتازها أنا فكيف ستَلِجُها غزالةٌ صغيرة وكيف يضعها
خاطفها بجوار السجن ..نِعمَ الرأي رأي الغراب"

الفصل الخامس

بعد أن انتهى الأسد من توزيع اللحم استدعى الببغاء وقال له

– كيف الحال يا ببغاء .. أما من خبر عن القرد والغزالة الضائعة ؟

– كلا يا مولاي

– ولكنّ شهرًا كاملاً قد مضى تُرى أين ذهبا والغابة يحيطها البحر ؟؟ حتى الغابات القريبة الصغيرة لا تعلم من أمرهما شيئًا

– لو ضمن لي سيدي العفو فأصارحه بشيء

– قل يا ببغاء فأنا لا يخاف لديّ المخلصوّن

– إنما أردتُ أن أقول يا سيدي لعلّ القردَ قد غافَلَكَ وتسلّلَ إلى المركب

– لقد فكَّرْتُ في ذلك يا ببغاء فسألتُ أهل المركب اليوم وهم لا يكتمونني سرًّا فقالوا إنهم عادوا كما أتوا لا يزيد عليهم إلا فرحتنا بمعونتهم

– يا مولاي إنّ القرد لن يستطيع أن يختفي أكثر من ذلك فلعله يفرّ معهم اليوم وقد أمِنَ ألا يراه أحدٌ بعد حبس الثعلب

– وأهل المركب هل يسمحون له ؟

– إن كانت الغزالة معه فلا يمنعه مانع .. فنظرة واحدة إليها ستجعلهم يوافقون

– لا يمكننا أن نواجه الغابة الأخرى بغير دليل وإلا سنخسر معونتهم

– نهض الببغاء في حماس وقال : دَعْ هذا الأمرَ لي يا سيدي

– حسنًا ولكن لا تفعل شيئاً دون الرجوع إليّ

انطلق الببغاء إلى الشاطئ وكانت المركب على مرمى بصره ففكَّرَ أن يطير إليهم لكنّه تذكَّرَ تحذير الأسد فعَدَل عن تفكيره خاصّةً وأنه قدَّر أنّ ظهوره فوق المركب سيجعلهم يشكّون وربما يخفون القرد لو كان معهم . ثمّ عنَّتْ له فكرة فنادى على السلحفاة وقال لها انطلقي خلف السفينة فتحسّسي من القرد والغزالة فإن سمعتِ أو وجدتِ شيئًا فعودي إليّ به .

انطلقت السلحفاة ، والببغاء على الشاطئ ينتظرها ويحدِّثُ نفسه أنها لابد ستعود بشيء . أختفت السفينة الآن عن بصره لكنّ السلحفاة عادت إليه لاهثةً تحمل قشرة موز وعقد الغزالة الضائعة .

*****

سَمِعَ الأسدُ صوتَ الببغاء قادمًا إلى عرينه فخرج إليه مسرعًا وقال :

- ماذا وراءكَ .. هل وجدتَ شيئًا ؟؟

- فألقى العقد وقشرة الموز أمامه وقال : أصبح الأمر واضحًا الآن يا مولاي ولابدَّ أن ندركهم قبل أن يصلوا إلى الغابة فيندسّوا بينها وتضيع الـــحُجّة

- الحق ما تقول يا ببغاء لكنّ حرب البحر هَلَكة فكيف ونحن لا نملك قاربًا

- لا أدري ما الذي منعك يا مولاي مِن بنائه فيما بَنَينا

- وهل تَضَعُ المفتاحَ في يد الحبيس ؟!!

ثمّ سكتا كأنهما يفكّران والببغاء ينتظر قرار الأسد الذي أخذ يروح ويجيء أمامه . وفجأة توقّف الأسد وقال :

- اسمع يا ببغاء لإن كان لديهم قارب فلدينا عشرة . ثمّ أكمل قبل أن يسأله الببغاء فقال : أرسلْ في أطراف الغابة وسُبلها فاجمع كلّ الحيوانات وأمُرْ مَن يَسبَحُ منهم أن يحمل من ليس بسابح واجمع الطير فيحلّقوا فوقهم ثمّ امضوا إليهم منتصرين .

أراد الببغاء أن يعبّر عن دهشته برأي الملك الحكيم ولكنّه تذكّر المركب المبتعدة فهمَّ لينفذ الأمر لكنه قال للأسد قبل أن يمضي : سيدي هل نخرج الثعلب من سجنه فيأتي معنا ؟؟

- أخشى أن تكره الغزالةُ ذلك ونحن لم نعثر على ابنتها بَعد, ولإن عُدتم بها سيكون ذلك أظهرَ لبراءته وأحفظ لكرامته وستخرجه الغزالة بنفسها فلا تخرجوه الآن وسيبقى الغرابُ وأنا والملكةُ أيضًا

- سيدي الملك أفهم أن يبقى الغراب لكنّي حَسبتُكَ ستكون أوَّلَ الخارجين !!

- لا يصح لمثلك أن يقول ذلك يا ببغاء فلو خرجتُ أنا أو الملكة على رأسكم لصارت حربًا بين غابتين لا قِبَل لكم بها ولعلّ أهلُ الغابة ومَلِكَها لا يعلمون ما دَبَّرَه أهلُ المركب وإنما الرأي أنّ نستردّ غزالتنا ثمّ ننبأ ملكهم بالأمر فإن أقرّه أعددنا لهم العدّة وإلا تركنا عقابهم له . فانطلِق الآن ولا تضيِّعْ وقتًا .

دهشةُ البغاء وإعجابه برأي الملك اسكتت فمه وأوسعت عينيه لكنّها أطلقَته في الغابة ينادي في الحيوانات أن يجتمعوا من فورهم عند الشاطئ ثمّ انطلق إلى الغزالة يخبرها وقال لها : "ابقي أنت هنا فأنا أخشى عليك من البحر وأنت مريضة " قالت "بل البقاءَ فلتَخْشَ عليّ لإن لم آت معكم ليقتلني القلق" فساعدَها البغاء وسار بها إلى الشاطئ . ومرّا في طريقهما بالبطة وكانت راقدةً على البيض فقالت لهما "لقد سمعتُ نداءكَ يا بغاء ولكنه البيض مرَّةً أخرى يحبسني عنكم لكنّكما تعلمان صدق محبّتي" فقالت الغزالة "لا تأخذي نفسك باللوم يا بطة فقد منعك العذر" .

اجتمعت الحيوانات جميعًا عند الشاطئ وأخذ الأسد يرتب صفوفهم ويختار السابح والراكب ثمّ انطلَقوا ومِن فوقهم الطيرُ والأسدُ يرقبهم حتى اختفوا عن الأنظار فعاد إلى عرينه .

*****

في وسط البحر والأمواج تضرب الجيش الضعيف وتثقل السابحِين على أثقالهم وتهزُّ الراكبِين فيرتعبون. الببغاء يتابع الغزالة المريضة ويزداد خوفه عليها فيتمنّى أن يدركوا المركب ويعودوا بالغائبَين . ثمّ انتبه البغاء أنّه نسي عقد الغزالة عند الأسد عندما ألقاه أمامه فلعن غباءه واقترب من الغزالة وهمس

لها أنّه سيعود إلى الغابة ليحضره وأنّ عليها ألا تخبر الحيوانات بعودته فترتبك صفوفهم . قالت الغزالة "أتتركني في عرض البحر يا ببغاء وتعود وقد أوشكنا أن ندرك ابنتي !؟" قال متسرِّعًا "لإن لم أحضِر العقد فلن تقرَّ بها عينُك" قالت "أما أكفي أنا وأنا أمُّها ليعطوها لنا" قال "كلا .. بل الأسد أمرني ألا أخاطبهم بغير دليل ولعله صادف العقد أمام بيته ولا يدري ماذا يفعل الآن أو لعله لم يصادفه فيكون شأن .. فأكملوا السَّير ودعيني أعالج ما أفسَدْت " .

يضرب الببغاء بجناحيه الهواء في قوة واضطراب حتى وصل إلى الشاطئ فحطّ على شجرة يلتقط أنفاسه فرأى الغرابَ يهيل الترابَ برجليه على حفرة ليخفي شيئًا والأسد واقف على مقربة منه فبهت الببغاء وأُسْقطَ في يده "إنّ الغراب لا بدّ يدفن العقد ولكن ما الذي دفعه إلى ذلك بل كان عليه أن يطير به إلينا فلا نرجع خائبين وما أمر السجن بأولى من أمر الغابة وإن كان كذلك فكيف تَرَكَه ومضى إلى الأسد وكيف يقف الأسد فلا يمنعه أيكونا دبّرا مؤامرةً لنا جميعًا ؟؟ أتكون الغزالة في الغابة؟؟" ثمّ تذكّر الصوتَ الذي سمعه الثعلبُ وكيف منعهم الغراب من البحث بين الأشجار الكثيفة . فطار في حذر إلى حيث الأشجار وتوغّلَ بينها بصعوبة بالغة حتى أنّ جناحيه قد أصيبا لكنه لما صار بينها لم يجد الغزالة الصغيرة ولكنه وجد القردَ غائبًا عن الوعي ومُقَيَّدًا .

الفصل السادس

الببغاء كأنّه يحلم ، الأمور تنقلب رأسًا على عقب أسرع الببغاء بفكّ القرد وأحضر له الكثير من الموز ليأكله حتى يفيق فتكلّم القرد كأنه يهذي :

– أين أنا ؟ وما لي لا أسمع للغابة صوتًا ؟

– حكى الببغاء للقرد كل ما حدث وكيف عاد إلى الغابة لينكشف له السرّ ثمّ قال "لكني توقعتُ أن أجد الغزالة هنا لا أن أجدك أنت "

– دعاني الغراب وقد أوشك الشهر أن يهلّ فقال لي "إن الأشجار حول السجن قد امتلأت بالثمار حتى إنها لتتساقط على رأسه فلو أنني تسلقتها وخلّصتُه منها لأمن سقوطها عليه" فطلبتُ منه أن يؤجل ذلك بعد أن تأتي المركب وترحل فهي

على وشك الوصول ومراقبة الشاطئ أولى في هذا الوقت" فقال إنّ الأمر لن يطول ويمكنني أن أعود إلى الشجرة بعدما أنتهي . فتسلّقتُ الأشجار وتوغّلتُ بينها وما أن قطفتُ بعضَها ونزلتُ أضعه بجوار الشجر فإذا بشئ يضربني على رأسي فما أفقتُ إلا وأنا مربوط إلى الشجرة وفمّي مكمَّم . لكنّ الغزالة هنا فعلاً فقد كنتُ أسمع صوتَها بجوار السجن .

– صاح الببغاء "قلبي كان يحدّثني أن الثعلب لا يكذب فقد قال إنه سمع صوتها فما كان منا إلا أن كذبّناه وحدَّدَ الأسدُ حبْسَه .. لكن أين هي ؟؟ أيكون الغراب قد ذهب بها إلى الأسد .. لو كان الأمر كذلك فقد ضاع كل شئ فنحن لا قِبَل لنا بالأسد وزوجته .. والثعلب مسجون والغابة كلها في البحر تكاد تموت؟ "

– لا تَخَف يا صاحبي فإنّ الخائنَ مهزوم .. طِرْ أنت إلى البحر فأدرِكْ مَن فيه وعُدْ بهم ودَعْ الباقي لي لكن احملْ هذا القشر في فمك فألقِه بعيدًا ولْـتَجعَل الغرابَ يراك "

****

انطلَقَ الببغاء حاملاً قشر الموز وما أن رأى الغرابَ خارجًا من عرين الأسد حتى ألقى القشر وطار باتجاه البحر . اندهش الغرابُ لمرأى الببغاء وما يلقيه من قشر وقبل أن يفكّر انطلق إلى

الأشجار وتوغّل بينها بحذر فلم يجد القرد في مكانه فارتبك وحاول الخروجَ من المكان لكنّ القرد عاجلَه بقفزة من فوق الشجر وضغط بكلتا يديه على عنقه وقال له "وقعتَ أيها الشيخ الخائن لـيُعلمنَّكَ الموتُ حكمةً أكثر بلاغة مما حشوَتَ به عقولنا وليمنحنّ صاحبَك الرشيدَ لسانًا يتمنّى به العفو ونحن نعلّقه على أشجار الغابة" ثمّ نَزَع مفتاح السجن من عنقه وقال له "الآن يعود البغاء هم وقد نبتت على قلوهم التي أحبتكم مخالبٌ تنزع عنكم جلد البراءة وتترككم عراةً لا تجد ذنوبُكم ما يسترها ".

أوشك الغراب أن يختنق وتجرَّح جسدُه بينما القرد يجرّه إلى السجن ويخرج به من بين الأشجار ثمّ ألقى القردُ المفتاح للثعلب فخرج وألقيا الغرابَ مكانه وحبساه . وبينما الغراب يسعَل بشدة ويلتقط أنفاسه سأل الثعلبُ القردَ "ما الذي يحدث؟؟" فأجاب القرد "سأحكي لك لكن لابدَّ أن ننطلق الآن إلى الأسد فنمنعه عن الغزالة" صرخ الثعلب "الغزالة الصغيرة ؟ أهي في عرين الأسد ؟ كيف ذلك ؟ وربّ الغابة لأموتنّ دونها" قال القرد "بل ليموتَنَّ هو وزوجتُه وهذا الغرابُ دونها .. فهيا بنا ".

استطاع الغرابُ بالكاد أن يتكلم فناداهما بأعلى صوته "لا تذهبا إلى الأسد فالغزالة ليست في الغابة .. الأسد بريء .. الأسد بريء" أبطأ الصديقان من سرعتهما لكنّ الثعلب قال له "لا تُعِرْه انتباهًا إنه خائن يريد أن يعطّلَنا" قال القرد "لم يَعُد له

حيلة يا صاحبي فلمَ يمنعنا عن الأسد وهو في حبسه ينتظر الموت وإن يكُ كاذبًا فلَن يملك لنفسه مخرجًا وإن يكُ صادقًا يصيبنا من الأسد ما لا تحمد عقباه ومن سوء الظنّ ما يُعذّبُ الرُّوح .. فتعالَ نسمع منه فإن تبيَّن كذبُه تركناه بلا رجعة " .

عادا إلى الغراب وهو ما زال يسعل بشدة فبادَرَه القردُ "أما زلتَ تكذب وقد أصبحتَ تَعُدّ أنفاسَكَ المتبقّية ؟" قال الغراب "بل انتظاري للموت جعلني أدفع عن الأسد سوء ظنكما وأخبركما بما تدركان به الغزالةَ قبل فواقا ولعلي أنفعكما فأكفّر عن ذنوبي جميعها" قال القرد "لكنّ البيغاء رآك تدفن العقد فلا يجده ؟! " أجاب الغراب "اليوم هو يوم اللحم وقد كنتُ ذاهبًا كالعادة بالتقرير إلى الأسد فوجدتُ العقد في طريقي وعلمتُ أنّ البيغاء قد نسيَه وهو –لا شكّ – عائد ليأخذه وعندها أُسقطَ في يدي فإنما بادرتُ الأسدَ بالتقرير لأتفرّغ لكَ فأتخلّص منك قبل أن يعودوا بالغزالة وقبل أن يأتيني الأسد إلى هنا . فلو أعطيتُ العقد للأسد لأمرني أن أدركهم وعندها يفتضح أمري معك وتضيع فرصتي في التخلص منك ولا آمن أن أترك الغابة والأسد فيها فوسوسَتْ لي نفسي أن أخفيه فإن عاد البيغاء انشغلَ بالبحث عنه ولن يجده وسيأمره الأسد بإدراكهم حتى لا يشتبكوا مع المركب بغير دليل وعندها كنتُ سأدبّر شيئًا أتخلص به منك عبر البحر .ولم يؤلمني في هذا

الأمر إلا أني ما كنتُ أريد للغزالة الصغيرة سوءًا ولكنّ خوفي على نفسي كان أكبر من خوفي عليها" . مندهشًا يَسمع القردُ كلامَ الغرابِ ويسكته هذا التخطيطُ المنظَّمُ لكن الثعلب قطع شروده وقال "أرأيت يا قرد إنه كاذب ألم يقل لك الببغاء أنه رأى الأسد على مقربة منه إذن هو يعلم أمر العقد فهيا بنا" انتَبَه القردُ لكلام الثعلب وقال له "أحسنْتَ يا ثعلب لقد كدتُ أنخدعُ فيه" **قاطعهما** الغراب "لو كان الببغاء أتى عند ذلك لفضح أمري أمام الأسد وانتهيتُ لكنّ الأسد قد خرج من عرينه لّما تأخّرتُ عليه وهذا ما كنتُ أتوقّعه غير أني كنتُ قد حسمتُ أمري ودفنتُ العقد فلما سألني "ماذا تفعل عندك يا غراب" قلتُ له وأنا أسير نحوه "لا شيء يا سيدي إني رأيتُ في هذه البقعة عُشبًا ينفعني ففحصتُه لكي سأنزعه بعد حين" ثمّ دخلتُ معه إلى عرينه وقلبي يرتعش فما أن انتهيتُ من التقرير حتى طرتُ إلى هنا لأتخلّص منك ورأيت الببغاء في طريقي وهو يرمى القشر فزاد خوفي لكنّ لكل شيء مخرجًا مادام لم يفضحني عند الأسد" قال القرد "ما زلتَ تكذب يا غراب فإن كان ما حكيتَه من أمر العقد صحيحًا و لم تكن الغزالة في الغابة كما تقول فكيف سمع الثعلب صوتها وكذلك أنا ؟" قال الغراب "بل هذا دليل صدقي فإنكما قد سمعتماه مرّةً واحدة وكنتُ أنا من يُقلّد صوتها لكني كَرِيهُ الصوتِ أخْشَـــنُه ولذلك

ظنّ الثعلبُ أنّ شيئًا يطوّق عنقها وأنها مجروحة" بدأ الثعلب يشعر أن في كلام الغراب صدقًا وبدأ يستعيد الصوت الذي سمعه وكيف استنكره في أوّل الأمر حتى أنه نفض رأسه خشية الوهم ولكنّ الغراب زاد دهشتَه عندما قال "لو كانت الغزالة في الغابة فكيف أخبؤها بجوار السجن وكيف وجدَتْ السلحفاة العقد في البحر ؟؟ " ابتسم القردُ ابتسامة المنتصر وقال "لقد خانَكَ ذكاؤكَ يا غراب فإنها وجدَت معه قشرةَ الموز وإنما دبَّرتُما ذلك لتدفعا عن نَفسَيكما التهمة وأخرَجَ الأسدُ الغابةَ إلا نفسه وزوجته ليخلو الأمر لكم .. لقد أتتْكَ الحجّةُ من حيث لا تحتسب فهيا بنا يا ثعلب فقد بان كذبه" قال الغراب بنفاد صبر "ما زلتَ تشكّ في الأسد يا قرد وهو من الأمر بريء وما من أحد أشد خوفًا على الغزالة منه . ولو كان له يدٌ فكيف يتركني أجيئك وحدي وهو يعلم أنّك قاتلي وإنما كان ذلك مما دبّرتُه أنا فلما علمتُ أنّ الغزالة ليست في الغابة وأنّ خاطفها لا بدّ أن يكون في البحر رميتُ قشرة الموز في طريق المركب لأنسب التهمة لك وأعمي أعينهم عن مكانك وما كنتُ أعلم بأمر العقد حتى عاد الببغاء به فاستبشرَت نفسي وقلتُ أن الأمور تسير إلى حيث أريد ولكنّي كنتُ مخطئًا" مرّة أخرى تسكتُ الدهشةُ القردَ وتتسارع الأفكارُ إلى رأسه ولكنّ الثعلب قال معقّبًا "ما أهلك الأمةَ إذا ضلّ علماؤها" وقال القرد

وهو لم يزل في دهشته "لكن ما الذي دَفَعَكَ إلى كلّ ذلك ؟؟ " قال الغراب وقد بان في صوته الندم وخفض رأسه خجلاً "لقد ساءني أن يبدأ الأسد عهده فيحجبني عن منصبي ،كنتُ أرى ألا أحقَّ به منّي فأنا حكيم الغابة وشيخها وأكثرها علمًا وقد زاد الأمرَ سوءًا أنْ ولّاني أمرَ السجن وأصبحتُ أراقبُ مَن لا حَولَ له فضاقت نفسي وقررتُ أن أفعل أيَّ شيء في سبيل كرامتي" قال القرد "فكيف تشير إذن على الأسد أن يتولى الثعلب أمر الداخل ؟!" قال الغراب "كان ذلك أوّل ما سوَّلَتْ لي به نفسي وحسبتُ أنّه قد ينقصُكَ شأنكَ فإنما الفضل ألا ينازعك في الفضيلة سواك ولعلي بمشورتي أستعيد ثقةَ الغابة واحترامَها لكنّ ظنّي كان باطلاً فوجدتُ أن الغابة أحبَّت الثعلبَ كما أحبتْكَ وانصرفَتْ عنّي فأصبح الفضل فضلَين وأصبحتُ أضمّ صدري على الحسرة والغضبِ والغضبُ بيت السوء . فدبَّرتُ أمر الحفرة حتى إذا أصبحتم من ليل الحفل سارعتُ إلى الأسد كأني اكتشفتُها فلعل ذلك يقصيكما عن مكانكما لكني ما حسبتُ أنّ مكائدي ستنقلب عليّ فقد كنتُ أحبُّ الغزال مثلكما فإذا به يروح ضحيةَ أطماعي" وبكى الغرابُ وصاح به الثعلب وطلب من القرد أن يتركه ليقتله انتقامًا ولكن القرد منعه وقال له "إنّ مثله لا ينبغي أن يموت مرّةً واحدة فلا تعجل" أكمَلَ الغرابُ من بين دموعه "أنتما لا

تعلمان ما أصابني بعد هذه الحادثة فلقد كدتُ أقتل نفسي لكنّ حَبسَكما بعد ذلك أرضى رغبتي مع أني لم أعُدْ للمراقبة ولّما سمعتُ ما دار بينكما في السجن خشيتُ أن ينالني القردُ بانتقامه فقررتُ أن أعاجله بالموت ودبّرتُ لذلك أمر الثمر أمّا أنت يا ثعلب فقد كان يكفيني أن تكرهَك الغابةُ وتشكٌ فيك خاصّةً الغزالة . وما أمر البيضتَين إلا مكيدةٌ أخرى فلما رأيتُ الغزالةَ والببغاءَ قادمَين تَعَجَّلْتُكَ ليسقط البيضُ فأحبسك بجوار صاحبك ثمّ أسمِعُك صوت ابنتها في الليل فلا يعودان لمحبّتك مرّةً أخرى .. إنّ الطمع كقطرة ماء على ورقة صفراء ذابلة لا تزال تبللها وقد كنتَ تحسب أنها لن تصيبها إلا بقدرها .. لقد غرّني علمي ووقفتُ على حافة الشرّ فزلّت قدمي وحسبتُ أنّ القاع قريب فإذا بالسقوط لا ينتهي وأصبحتُ وأنا رقيب الغابة لا أجد رقيب نفسي " وانخرط الغراب في البكاء .

****

كلام الغراب فتح أمامهما أبوابًا من الحيرة والخوف والغضب لكنّهما لم يدخلا إلا من باب الحمد لربّ الغابة أن لم يذهبا إلى الأسد فيتّهمانه وهو الذي لم يُصبْ سريرتَه أذى . عين الثعلب امتلأت بالرغبة في قتل الغراب ولذلك أدركه القرد بسؤاله "ماذا سنفعل الآن والببغاء قد ذهب ليرجعهم بعدما أوشكوا على الوصول ولا أمل لنا بعدها في الغزالة وربّما أمّها

أيضًا" وجَّهَ الثعلبُ كلامَه للغراب "أرأيتَ عاقبة جرائمك .. وربّ الغابة لأنتقمنّ منك" منعه القرد وقال له "اهدأ يا ثعلب فما عاد أمامنا غيره يمكنه إدراكهم" قال الثعلب منفعلاً "أنرسله بعدما عرفناه من أمره ؟ وهل تأمن غوائله ؟؟ .. بل سنذهب إلى الأسد فنعلمه ونفعل ما يشير به علينا" قال القرد "الأسد نفسه ليس أمامه سواه ياثعلب وإنْ فضحناه خاننا و لم يبلغهم وفرَّ بحياته بعيدًا " .

بدأت الحيرة تتسلّل إليهما والوقت يمرّ عليهما كالموت البطيء وكلما التقت أعينهما بالغراب أكلَهما الغيظُ والقهر . وأخيرًا نطق الغراب فقال "إنّ لكلّ منّا حاجةً عند أخيه" فانفعل الثعلب "لا تَقُل أخيه يا خائن فإنما يجري في عروقك دم الغدر والطمع" أكمَلَ الغراب "أرجوك يا ثعلب المصاب الآن كبير ولا وقت للغضب وإن شئتَ أن ترسلني إلى الأسد فيقتلني فافعل وأرحني من هذا العذاب" قال القرد "ليس قبل أن تدركهم في البحر" قال الغراب "لا أفعل حتى يؤتي كلٌّ منّا موثقَه للآخر . تقسمان بربِّ البحر ألا تخبرا أحداً وأقسِمُ بربّ البحر أن أخبرهم أنّ الغزالة ليست في الغابة فتأمنون عليهم وآمن على نفسي" ردّ القرد "ولكّن الببغاء قد عَلِم ما كان من أمرك معي ؟ " قال الغراب "ولذلك سأحاول أن أدركَه قبل أن

يصل إليهم وأخبره الحقيقة بيني وبينه ولكن عليكما أن تضمنا لي صمتَه فأنتما صديقاه كما أنّه سيساعدنا في حيلة نبرِّر بها وجود القرد في الغابة" قال الثعلب "حقًا فلو رآه أحدٌ الآن لفشلت الخطّة" أقرَّ الغرابُ كلامَ الثعلب وأكمل قائلاً "عليك يا قرد أن تذهب الآن إلى شجرة الورد فتنبش تحتها وتخرج العقد وتأتيني به حتى أدركهم في البحر ثم تعتلي شجرتك فلا تظهر حتى آتيك أنا والببغاء فندبر الأمر معًا أما الثعلب فعليه أن يشغل الأسد عنك وعني فيذهب إليه ليخبره أن الغراب قد وجد العقد وكان الببغاء قد نسيه فطار إليهم قبل فوات الوقت وأرسَلَني لأعتذر منك" ثمّ قال الغراب بعد أن علم كلٌ واجبَه "أخشى أن تتذكرا ما كان منّي فلا تمنعا نفسيكما من عقوبتي" أجاب القرد "لقد أقسمنا بربّ الغابة يا غراب كما أقسمتَ أنت به ومن أقسم به باطلاً سيأتيه العقاب من حيث لا يحتسب فدَعْنا ننطلق حتى لا يضيع الوقت "

****

القرد على الشجرة يتابع الغرابَ وهو يطير إليهم بعد أن أخرجه من السجن وجاء إليه بالعقد بينما انطلق الثعلب إلى الأسد ليخبره بأمر الغراب . لم يصدق القرد أنه استطاع أن يستخرج العقد دون أن يلمحه الأسد فدقّاتُ قلبه لم تهدأ بعد

لكنّ الأمور تسير حسب الخطّة المرسومة ولا يتمنّى الآن إلا أن يدركَ الغرابُ الببغاءَ في الوقت المناسب .

الغراب يبدو الآن كنقطة سوداء في الأفق البعيد والشمس التي بدأت تميل للغروب ألقت في قلب القرد رهبةً ودعاءً وأخذ يتأمل كل ما مضى ولمّا تذكّرَ كلامه في السجن قال في نفسه "لسانُ الغضبِ مسمومٌ كلسان الحية لكنّه لا يلدغ إلا صاحبه فلو أنّي لم أتكلم بما تكلمتُ به في السجن ولو الغزالة عفت عن الثعلب لما تمكنّ الغراب من فعلَته ولما استطاع أن يخدعنا جميعًا حتى الأسد الطيب" حاول القرد أن يصرف عن ذهنه أنه كان ذاهبًا ليتّهم الأسدَ فأغمض عينيه بشدة وحرّكَ رأسه يمنةً ويسرةً ثمّ ضَمّها إلى صدره واستكان فلمّا فتح عينيه مرّة أخرى رأى ما لم يخطر له على بال .

إنها البطّة في طريقها إلى الأسد لكنّها واقفة تشتكي رِجلَها . اتسعَت عينُ القرد وأكَلَه القلق والحيرة .. ما الذي جعل البطة تترك البيض وقد أخبره الببغاء أنها لم تذهب معهم لأنها راقدةٌ عليه ؟ ولماذا تشتكي رِجلَها ؟؟ أيذهب إليها فيسألها .. لكنّ الغراب قال له "لا تجعل أحدًا يراك ؟" تمنّى لو يظهر الثعلب الآن فيساعده لكنّه لم يَعُد منذ ذهب إلى الأسد .. بدأ الخوف يتسلّل إلى القرد فالبطة لا تترك بيضها هكذا ثمّ تذكّر حادثة

البيضتين فحسم أمره وقال "لأذهبنَّ لها فأسألها وليكن ما يكون".

وجدَت البطةُ القردَ أمامها فجأة فأخرَسَتها المفاجأة وارتبكَتْ وظلّت تنظر إليه في خوفٍ شديدٍ وهو لايتكلم ثمّ قالت بصوتٍ متقطّع :

- أ .. أنت هنا في الـ...الغابة وهم خـ...خرجوا خلفك؟ ثمّ ارتفع صوتها كأنها تُسمِع الأسدَ "لماذا تنظر إليّ هكذا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلتَ الغزالَ بالأمس وخطفتَ ابنتَه "

- خشي القردُ مجيءَ الأسدِ فأمسَكَها بكلتا يديه وأسكتَها ثمّ قال "سأقتلكِ إن لم تخفضي صوتك وتنطقي بالحق .. ما الذي دفعكِ أن تتركي البيض وقد كان حجتَّكِ .. ولماذا تذهبين إلى الأسد"

- قالت البطة في ارتباك "أليس من حقّي أن أذهب إلى مَلِك الغابة وسيِّدها "

- قاطعها القرد "لا تراوغيني فما أنت بتاركة بيضَك أبدًا؟؟ ولماذا تذهبين في حال كهذه وليس في الغابة سوَاكما لابدَّ أنّ وراءك شيء ؟؟ "

- حاولَت البطة الإفلاتَ منه وهي تقول "دَعْني أعُدْ إلى بيضي فأنت الذي يُسأل عنه وليس أنا "

– اشتدَّ بالقرد الغضبُ فقبض على رقبتها بشدة وقال لها "إذن فلأبدأ أولى جرائمي بكِ في هذه الغابة الخائنة "

– كادت البطة أن تختنق فضربَت بجناحيها ففهم أنها استسلمَتْ وأنها ستعترف له فما أن تركها حتى قالت "وعدني الأسد أن يعطيني جلدَ الغزالة أغطّي به بيضي فلا أحتاج للرقود عليه وأمرني أن آتيه إذا خَلَت الغابةُ ولولا قشر الموز الذي انزلقَت قدمي عليه لكنتُ الآن فائزةً به "

– وضع القرد يدَه على قلبه كأنه يتأكّد أنه مازال حيًّا .. ثمّ قال بصوتٍ تملؤه الحسرة "كلّنا أغبياء .. كلّنا أغبياء .. وحدَه الببغاء كانَ على حقٍّ حتى فيما رماه من قشر الموز فلولاه لكنتِ الآن في فم الأسد"

– ماذا تقول ؟

– كيف استطاع أن يقنعك بهذه الحيلة البلهاء وهل يَخفى جلدُ الغزالة على أحدٍ حتى تُغطّي به بيضَك أيتها الساذجة .. بل قولي أنه هدَّدَكِ بشيءٍ .. إنما كنتِ ذاهبةً إلى الموت لا محالة"

– الحق ما تقول يا قرد .. كم أنا غبية .. ولَكَسْرُ عنقي أولى بي من كسر ساقي .

- كلنا أغبياء .. ولكن كيف هانت عليك الغزالة وأمّها؟ كان بإمكانك أن تفسدي عليه خطتَه

- بكت البطة بحرقة وقالت لقد بهرني جلدُ الغزالة وأحببتُ أن يكون لي وألا يمنعني البيضُ من التحوّل في الغابة مثلكم

- الطمع اللعين .. الفقر والحاجة .. السلطة والعلم .. الغباء الغباء .. الغباء

بدا القرد كأنّه يهذي والدموع تسيل من عينيه .. فجلس على الأرض منهارًا لا يدري ماذا يفعل "فالغراب سيفسد على الببغاء كلامَه وستدخل الحيوانات في حربٍ طاحنةٍ والبطة مكسورة الساق لن تدركهم إلا وهم قتلى يبتلعهم الموج .. والغزالة ؟؟ .. الغزالة ؟؟ " يبكي القرد بحرقة والعجز يعذّبه فقالت البطة في حماس من بين دموعها "دعْكَ ممن في البحر الآن وحاولْ أن تدركَ الغزالة فلعلّها لم تَزل حيّةً ولعلَّ الثعلبَ منعَه عنها " .

لم ينتظر القردُ كلام البطة وانطَلَقَ إلى عرين الأسد يصيح بأعلى صوته " الموت للخائن..لن تنالها بسوء "

****

الفصل الأخير

نار الانتقام تتأجّج في صدره ولا تزيدها الريحُ التي يخترقها منطلقًا إلى الأسد إلا اشتعالاً .. يعضّ على أسنانه بغيظ وهو يعدو كأنه يأكل الطريق ..لن يراوغَه أو يختبئَ له ،سيواجهه بكل ما أوتي من قوّة .. سيقتله مرّاتٍ ومرّاتٍ بقَدْر ما أحبَّه ووثق فيه .. القرد لا يدري من أين أتى بكلّ هذه الجرأة والشجاعة لكنه لا يفكّر الآن إلا في الانتقام . من بعيدٍ وقبل أن يصل إلى العرين صرخ بقوةٍ وهو ما زال يجري :

– اخرُجْ يا خائن .. اخرج يا خائن

توقّفَ القرد عندما لفَظَ العرينُ الثعلبَ وهو مقيَّدٌ يسيل الدَّمُ من رأسه ثمّ خرج وراءه الأسدُ في ثقةٍ مصوّبًا بصره إلى القرد الذاهل وقال في سخرية :

– "مَن .. القرد الغائب .. ألم يأمرْك الغرابُ ألا يراك أحد " وضَحِكَ في تهكّمٍ ثمّ قال ولم يزل ساخرًا " ما هذا الإزعاج يا رقيبَ الغابة وعينَها التي لا تنام ؟؟..ألم تعلم أني أتناول العشاء مع الغروب "

– تَبدّدَ كلّ ما كان في قلب القرد من ثورة ووجَدَ نفسَه ساكنًا لا يقوى حتّى على الكلام ، يداه متدليتان في خذلانٍ شديد ، لعله كان يتمنّى أن يجد الأسدَ بريئًا . إحساسُه بالغدرِ والغباءِ يكاد يقتله . نظَرَ إلى الثعلب في حسرةٍ ثمّ أدار بصرَه إلى البحر وقد تذكّرَ مَن فيه ثمّ عاد والملح في عينيه وقال منكسرًا وهو يبتلع غصّتَه " وحدي إذن نجوتُ .. قُل إنهم يكذبون وإنّ الثعلب فَعَلَ شيئًا فعاقبتَه . قُل إنّك لا تدري مِن أمْرِ الغزالة شيئًا وإنها في البحر وإنهم سيعودون بها. قل إنّ الغابةَ أعزُّ عليكَ من مكيدةٍ كهذه" . الدمعُ أصبح متصلاً وبدأ كلامه يتقطّع من شدّة البكاءِ . قال الأسدُ وهو لم يطرف له جفن :

– ما كان لملك الغابة أن يكذب .. لقد عوَّدتُكم الصدقَ يا شعبي الحبيب .. وكذلك الغراب لا يكذب وسيخبرهم أنها ليست في الغابة

– مسح القرد عينيه كأنّ أملاً قفز إلى قلبه وقال " لكنّه أقسم بربّ البحر !! "

– أقسم أن يخبرهم بذلك لا أن يقول لهم مكانها .. وهو سيفعل

– ردّ القرد متلهفًا كمن يدفع عن ذهنه الظنون "لن يصدّقوه فالببغاء سيدركهم قَبْلَه وهو عندهم أمين

– ضحك الأسد وقال "الببغاء اللعين أكان لزامًا أن ينسى العقدَ ذلك الأبلهُ ويعطّلنا كلّ ذلك الوقت لكنهم سيكذبونه عندما يرون العقد في رقبة الغراب فقد منحتَه دليلَ صدقه بيديك "

– قال القرد في دهشة " أكنتَ تعلم كلّ هذا .. الويل لك مني" وانطَلَقَ إليه لكنه ما كاد يصل حتى خرّ مغشيًا عليه بعدما ضربَه الغرابُ بقرن الغزال على رأسه.

****

كان الغرابُ قد أدرَكَ الببغاءَ قبل أن يصل إليهم وحكى له ما اتفَقَ عليه مع القرد وأعطاه العقدَ على أن يكملَ طريقَه إلى الحيوانات كأنه هو الذي عاد به وبذلك أقنعَه أنه لن يستطيع أن يظهر معه وأنه سيعود إلى الأسد في الغابة ليطمئنه وليتأكد القردُ أنه لم يَخُنه .. فلم يستطع الببغاءُ إلا أن يصدِّقَه وأكمَلَ طريقه إلى الحيوانات في حماسٍ شديد حتى وصلوا إلى المركب

وقد رسخ في ذهنهم أن الغزالة فيه لا محالة وكان الغراب يرقبهم من بعيد فابتسم ابتسامة المنتصر وتنفّس الصعداء ثمّ عاد إلى الأسد تسبقه أحلامه . ولّما اقترب من الغابة اختفى عن شجرة القرد وذهب إلى بيته ثمّ عاد وفي منقاره قرن الغزال الراحل وتأهّبَ ليضربَ القردَ على رأسه لكنّه لم يجدْه على شجرته وأدرَكَ سريعًا ما كان من البطّة فانطلق في حذرٍ إلى الأسد فَوافاه والقرد مندفعٌ نحوه .

كان الأسدُ يقيّد القردَ ولا يتمالكُ نفسَه من كثرة الضحك بينما يحكي له الغراب ما فعل فسأله مندهشًا "ولم يفكّر الببغاءُ كيف تكون الغزالة في المركب والقرد مربوطٌ في الغابة لم أتصوَّرْ أن يكون بهذا الغباء كأصحابه" وانفجر ضاحكًا وضحك معه الغراب ثمّ قال الأسد "يالكَ من خبيث أيها الغراب لقد أوتيتَ لسانًا أحدَّ من السيف فما من أحد خاطبتَه إلا وأقنعتَه . الحقّ ما قالت الغزالة يومًا : لسانٌ ماكر أشدّ علينا من نابٍ كاشر" قال الغراب مدعيًا الخجل "العفو يا مولاي فما أنا إلا خادمك وإنما لسانٌ يُقنِع ، ونابٌ يقطَع ، وفمٌ يبلَع" قال الأسد "أنت أكثر من خادمٍ يا غراب .. لكن أرأيتَ كيف يموتون هنا بقَرْنٍ ويموتون هناك بقَرْن" ضَحكا مرّةً أخرى حتى أن أنفاسَهما كانت تتقطّع من شدة الضحك واستلقيا على

الأرض فَرِحَين بخطَّتِهما الناجحة . ثمّ قال الغراب وهو يلتقط أنفاسَه "أظنّ أنه قد حان وقتُ الوليمة يا سيدي لقد وعدتَني بجلد الغزالة وقرنَيها" قال الأسد "ما بال القرون معك يا غراب ألم يكفيك قرن أبيها من قبل أم أنها خلطةٌ جديدةٌ ؟ ولكنّي سأزيدك عليها جلدَ الثعلب وأنيابَه" قال الغرابُ في فرحة "هذا كرمٌ بالغٌ منك يا مولاي ولكن أخشى أن تكون مولاتي المكلة بحاجة إليهما" قال الأسد "مولاتك الملكة لديها ما هو أعظم" ثم استدرك الأسد قائلاً "لا تنسَ أن تذكّرَني أن أمنحَكَ ريشَ البطة أيضًا فسأقتلها بعد العَشاء" قال الغراب "عذرًا يا مولاي لقد سبقتُكَ إلى هذا الشرف فقد خفتُ أن ينتبهَ القردُ إلى صياحِها بعدما رأتني قادمًا إليكما فأصابها من القرن ما أصابها وإن شئتَ أحضرتُ لكَ الريشَ تزيّن به عرشَكَ" قَهْقَهَ الأسدُ وكذلك الغراب ثمّ لفَتَ الأسدُ رأسَه إلى العرين ونادى على زوجته لتحضر الغزالةَ وتكتملَ الوليمةُ .. لكنّ نداءَ الأسدِ عاد خائبًا .

****

لم تكن الملكةُ في العرين ولا الغزالةُ ولا أثرُهما . الصندوقُ الذي كان يحوي جلدَ الغزال الراحل والذي كان بيتَ ابنته الضائعةِ خاوٍ تمامًا . ألفُ قَدَمٍ نبتَت للأسد يفتّش بها عنها وقد

احتقنَ الدَّمُ في وجهه . يصيح ويزأر ويدور حول العرين ولا أثر لها. أين اختفَت بل كيف خرجَت من العرين دون أن يراها ؟؟ لعلها غافلَته .. لكن لِمَ ؟ . دخل العرينَ وخرجَ مرارًا كأنه يكذِّب عينيه وفي كل مرَّة يعيد النظر إلى الصندوق في بله . الغرابُ يخشى الاقترابَ منه لكنه يشاركه الدهشةَ والاضطراب.. نظرةٌ واحدةٌ إليه كانت كفيلةً بانطلاقه للبحث في الغابة كلِّها.. ليتَه لم يقتل البطةَ لعلها شاهدَتهما. السماء للغراب والأرض للأسد يزرعانها بحثًا ولكنّ نجمَ الشمسِ أفَل، وليلُ الغابة أكحل ، والقلب يملؤه الوجل .

زئيره ولهاثه يترددان في الغابة الخاوية ، يخرج من بيت إلى بيت وتكاد سرعته والظلام يصدمانه بالأشجار ، تدميه الأحراشُ ويعركله غصنٌ مقطوعٌ ولكنه لا يتوقَّف .. حتى انقطَعَ أملُه وخارت قواه فعاد إلى عرينه يجرّ خطاه المتعَبة ويحني رأسَه المشدُوهَ ثمّ ارتمى على الأرض منهكًا وحَطَّ الغرابُ بجواره بعد قليل وجناحاه يرتعشان كأنهما لم يتخلصا مما كانا فيه . أنفاسٌ متلاحقةٌ ضعيفةٌ كأنه قوس الموت والسؤالان سهمان يعذانهما " أين ؟؟ ولِمَ ؟؟ ....."

صمتُ الغابة يقطعه صفيرُ الرياح وحِفيفُ الأشجار وهديرُ الموج الذي يتكسَّر على الشاطئ ، أما صمتُهما فلا يقطعه

شيء. إلى أن قال الغراب "هوِّنْ عليك يا سيدي فهي لا شكَّ في الغابة وبعد قليلٍ تشرق الشمسُ ونجدُها .. استرِح أنت الآن فقد كان اليومُ مجهدًا بحقّ " زفر الأسدُ وهَمَّ بقَولِ شيءٍ لكنه عاد إلى صمته مرّةً أخرى فعاد الغرابُ يطمئنه "يا مولاي ما الذي تخشاه من غيابها .. لا أظن أنّ الملكة طمعَت في الغزالة دونَكَ ، ولو فعلَت فكيف ستختفي منكَ والغابةُ يحيطها البحر.. فاصبِر عليها وستأتيكَ مرغمة" انتظَر الغرابُ أن يوافقَه الأسدُ ولكنّه ظلّ شاردًا كأنه لم يسمعه فاكتفى الغرابُ بالبقاء إلى جواره صامتًا حتى غلَبَه النومُ بينما الأسد على حاله وعيناه مفتوحتان تلمعان ببريقٍ غريب .

****

استيقَظَ الغرابُ مع شروق الشمس فوجد الأسدَ على شروده لم يزل فحاوَلَ ارضاءَه قائلاً وهو يضربُ بجناحيه "ائذن لي يا مولاي أن أفتّش عنها لن أعود بدونها" قال الأسد في بطء "لن تجدها" تململ الغراب وقال "أبحثتَ عنها يا مولاي ؟" أجاب الأسد "لقد عدتُ لتوّي فأنا لم أنم طوال الليل وما أن بزغ الفجر حتى اندفعتُ أفتش عنها ولكن لا أثر لها وكأنّ الأرضَ ابتلعَتها" وزفر في ضيقٍ وحيرة . قال الغراب "لا بأس يا مولاي فقط دَعْ عنك الحيرةَ والغضبَ وكن موقنًا أنها في

الطريق إليك ثمّ إنك لم تأكل منذ البارحة" فقال الأسد "وهل في الغابة شيءٌ يؤكَل" سكت الغرابُ لحظةً ثمّ سأل في تعجُب "فما بالُ الثعلبِ والقردِ ؟!" قال الأسد "أخشى أن أقتلهما الآن.. أشعر بمؤامرةٍ تدبِّرها زوجتي ولعلهما ينفعاني إذا احتدمَت الأمور" قالَ الغراب "أيّ مؤامرةٍ يمكنها أن تدبِّرَها وأيّ أمورٍ تلك التي ستحتدم .. إنّ مَن في البحر سيقذفهم لنا الموجُ الآنَ جثثًا طازجةً تكفيكَ أعوامًا والملكةُ تَعلم غضبَكَ وقوَّتكَ ولإنْ أكلَت الغزالةَ اليومَ سيأكلها الجوعُ غدًا أو ينالُها انتقامُكَ فاغفرْ لها خطأها عندما تأتيكَ آسفةً وتضع الغزالةَ بين يديكَ. أمّا الآن فأيّ الأسيرَينِ تفضِّل أن تبدأ به ؟" وأشار إلى القرد والثعلب . ابتسَمَ الأسدُ لكنّ الشرود لم يفارقْه وكان ينظر إلى الغراب في اضطرابٍ واضحٍ ثمّ قال "معك حقٌّ يا غراب لكنّي ما اعتدتُ أن آكلَ الأسيرَ فانتظرْ حتى يفيقا فأتلذّذ بصراخهما وهما بين أنيابي" قال الغراب "إذن فاترُكْهما لي" طارَ الغرابُ إلى بيته وعاد بعُشبٍ في منقاره وقرَّبه من أنفيهما وبعد لحظاتٍ كانا يفتحان عيونَهما في دهشةٍ كمن يفتح عينيه للمرة الأولى في حياته . ولّما التقت عيونُهما قال الأسدُ "أيكما يحبّ أن يرى دماءَ أخيه" قال القرد وهو يحاول أن يفكّ قيدَه "أحَبُّ الدماء دماؤكَ النجسةُ فدعني أريكَ إيّاها يا جبان" قال الأسدُ وهو يقترب منه "ما رأيكَ يا غراب أن نصنعَ من هذا

الذيل سوطًا للخاطئين" رفع الأسدُ يدَه ليخمش بها القردَ لكنّ منقارَ الببغاء الذي يحمل العقدَ كان أسرع .. ضرب الببغاءُ الأسدَ بقرن الغزالِ في عينه فتراجع للخلف وهو يصرخ ثمّ اشتبكَ مع الغراب في صراعٍ قويٍّ . الحيوانات كلّها على مراكبَ عديدةٍ تدخل الغابةَ متّجهين إلى عرينِ الأسدِ إلا الحصان الذي كانت الغزالةُ المريضةُ على ظهره فذهبَ بها إلى بيتها . حاوَلَ الأسدُ الفرارَ لكنّهم حاصروه وربطوه مع الغراب في قيدٍ واحدٍ وحرَّروا القردَ والثعلبَ وأطعَمُوهما . لم يكن أهل الغابة وحدهم هم الذين عادوا ولا جندٌ من الغابة الأخرى فقط.. بل ثمّة مركبٌ أخيرٌ يَشقُّ البحرَ قادمٌ من بعيد .

****

الحمارُ يرفسهما برجليه والثعلبُ يعضُّهما بأنيابه والطيورُ تلطمُهما بأجنحتها وتنقرهما بمناقيرها والقرد يرميهما بالحجارة وهما لا يقولان إلا "وربِّ الغابة لا نعلم مكانهما لقد خُدعنا مثلكم" قال الببغاء موجّهًا كلامه للغراب "لا تقسمْ بربّ الغابة يا شقيّ أما يكفيك ما تلقاه بسبب أيمانكَ الكاذبة" قال الغراب "وربّ الغابة إني لم أكن صادقًا من قبل مثلما أنا الآن وإنا لا نعلم من أمر الملكة والغزالة شيئًا ففتشوا عنهما إذا شئتم" لطمَهُ الببغاءُ فأسكتَه ثمّ قال "أخشى أن تكونا صادقَين ولكنّ

صدقَكما لن ينفعَكما اليومَ وستتمنيان الموتَ من قبل أن تلقياه فاصبرا فما من أحد في الغابة إلا هو قاتلُكما" ثمّ صاح في الحيوانات أن يزرعوا الغابة بحثًا وما كادوا يتحرّكون حتى أوقفَتهم الدهشة عندما رأوا الملكةَ خارجةً من بيت الغزالة المريضة ومتجهةً صوبَهم في ثقة .

وقفَت الملكةُ وقد التفّت الحيواناتُ أمامها كقوسٍ كبير يتقدَّمُهم الببغاءُ والقردُ والثعلبُ وعيونُهم المتسائلة تنتظر جوابًا فزأرَت الملكة زئيرًا ممتدًّا وإذا بالأرنب يخرج من بيت الغزالة ويقفز على ظهرها ويخفض أذنيه الطويلتين كأنه يحييهم . همهمةٌ سرَتْ في الجمع ثمّ ارتفعَت فصارت لغطًا "كيف لم ينتبهوا لغياب الأرنب عنهم وما علاقته باختفاء الملكة والغزالة" وعندها قالت الملكة "نعم لقد ابتلعتني الأرض ولكنها فعلَت عن رغبةٍ منّي ورضىً فأين يفرّ مَن على الأرض قبرُه وفي البحر حتفُه وفي الصدق هَلَكتُه .. لقد خدعني هذا الأسدُ كما خدعكم وحسبتُ أن يردَّه ضميرُه إلى رشده لكنه ما زاده إلا ضلالاً" صاح الأسدُ "أنتِ تتكلمين عن الضمير يا خائنة" فأكملَت الملكةُ "كان لمنطقه سحرٌ يُعمي العقولَ وكان خوفُه الظاهرُ على الغابة وأهلها هو الأمن المنشود ولكنني فوجئتُ به صبيحةَ موتِ الغزال وبعد أن ألقاه في البحر يدخل العرين

حاملاً إياه ثمّ نَزَع عنه جلدَه ووضعَه في صندوق وصنع من أحد قرنَيه عقدًا وأعطى الثاني لشيخه الملعون والتَهَمَ لحمَه الشهيَّ في متعة بالغة ثم خَرَج عليكم يغسل لعابُه أنيابَه كما يغسل الدمعُ احمرارَ عينيه وما تركَه يومَ وجَدَه الثعلبُ على الشاطيء إلا ليظفرَ به وحدَه فدبَّر لذلك أمْرَ الحفرة وجعَلَه يومَ عطلة لكم .." قاطعَها الأسدُ صارخًا "أيتها الكاذبة لقد جئت من غابتكِ وأنتِ تعلمين بأمر الغزال الذي سيرسلونه ألم تقولي لي دَعْ الزرعَ لهم وستكفيكَ غابتُنا أمرَ اللحم" انقسمَت الحيواناتُ بينهما لكنّ الببغاء قال لها أكملي فقالت "إنّ الغابة البعيدةَ قد ساءها ما علمَت من أمر الغزال وأنه لم يردّه عليهم وهو يعلم أنه منهم فأرسلَت إليه تهدّده فاتفقَ معهم أن يمنحَهم ابنتَه الصغيرةَ عوضًا عنه على أن يمدّوه بمركب اللحم ويزيدوا نصيبَه منه فدبَّر مع الغراب مكيدةً للقرد حتى لا يراه وهو يضعها في المركب . لكنه لمّا جاء الموعدُ وقعَت الغزالةُ في قلبه الطامع موقعًا وحدَّثَته نفسُه أنّ بعض اللحم لا يكفي ثمنًا لهذه الثروة النادرة فأخفى أمرَها ووعَدَهم أن يمنحَهم إياها في الشهر القادم ثمّ وَعَد كلَّ غابة من الغابات الصغيرة الفقيرة أنه سيمنحهم الغزالةَ يزوِّجونها عندهم ويُحسِّنون نسلَهم على أن يطيحوا بملوكهم الطامعين الضعفاء ويضمَّهم إلى ولايته زمنًا ثمّ يتركهم وقد امتلكوا ما يجبرون به الغابةَ الكبيرةَ على معاونتهم.

ولّما كان يعلم أنكم لن تفرِّطوا في غزالتكم طَرْفَةَ عينٍ دبَّر أمْرَ البحر ليتخلَّصَ منكم بدلاً من أن يستعين بكم ، فإن عاد منكُم أحدٌ كَسَرَ شوكتَه وضمَّه تحت لوائه ثمّ استعان بمن ضمَّهم إليه على الغابة الكبيرة إنْ عادت لطلبها" قال الغرابُ مخاطبًا الملكة "أوَ كان الجلدُ والقرنَين سدًى" قالت الملكة "مَن أعانَ على سوءٍ أصابه السوءُ .. والسمُّ إذا سرى في الذراع قُطعَت .. وما كانَ الملكُ ليبقيكَ وهو يعلم دهاءَك وما ناداني للوليمة إلا لنقتلكَ" نظرة الشماتة في عين الحيوانات جميعًا أحرقَتِ الغرابَ الذي تجمَّدَت عيناه وقال "وهل كنتُ أكره أن يتَّسعَ مُلكُنا وتزيد ثرواتُنا" قالت الملكة "مثلك لا يشبع يا غراب ولإن عفوتَ اليومَ عن جلد الغزالة وقرنَيها فغدًا لن ترضى بغير لُبدةِ الأسد وعرشه" قال الببغاء في حدّة "أنت لا تَقلّين عنه خيانةً .. وإلا ما الذي منعَك من تحذيرنا ونحن نُساق إلى الموت" قالت الملكةُ وقد أحنَت رأسَها وامتلأ صوتُها بالندم "أنا لا أبرِّيء نفسي من شهوةٍ ولا أعفيها من خيانةٍ ولا أدفَعُ عن نفسي انتقامَكم إنما حسبتُ الأمرَ قاصرًا على غزالةٍ صغيرةٍ يمنحها لغابتي التي تربَيتُ بها وينالني من وراء ذلك مُلكٌ بغير ضعَة ، ومائدةٌ غيرُ منتزَعة ، وثناءٌ ممَّن تَبعَه . والحزنُ بعد قليلٍ يفوت ، وسيُنسى قريبًا مَن يموت. فلمّا عاد بها إلى العرين وردَّ أهلَ المركب خائبين سألتُهُ فقال مواريًا : الأمرُ يحتاج للصبر ،

وسأعطيها لهم بعد شهر . ولكني لمحتُ في كلامه طويّته وعرفتُ من شروده نيّته فانتظرتُ حتى خلوتُ بنفسي وأرسلتُ إلى الأرنب وقلتُ له إنّ الملكَ الرشيدَ يأمركَ أن تحفر نفقًا لكلّ بيتٍ في الغابة فلا يرى أحدٌ ما لأخوانه من اللحم وإنه لا ينبغي أن يعلم أحدٌ بهذا الأمر فلا تغادرنّ الأرضَ إلا وقد أنجزتَ مهمَّتكَ فإذا انتهيتَ منه فلتجعل له مخرجًا ينتهي تحت هذا الصندوق في العرين . وقلتُ في نفسي لإن أراد شرًّا ليمنعنّه ، ولإن عاد إلى رشده ليعيننّه . حتى إذا كان صُبح الأمس أخذَ من الغزالة عقدَها وعاد بعدما ردَّ المركبَ بغير ما وعَدَها . فأعددتُ عدَّتي وأجمعتُ همّتي و لم أكُ أعلم بعد ما ينويه فقد كان يقصيني عن كل حديث حتى ما كان بينه وبين هذا الخبيث ثمّ أرسلَكَ يا ببغاء لتجدَ ما رماه ولتنفذَ الغابةُ مبتغاه فلمّا لم يَعُد للغابة صوت وجاءت من البحر رائحة الموت أخبرني كأنه يسرنّي وقد علم أنّه فَعَلَ ما يسوؤني ولذا لم يخبرني إلا وأنتم في البحر والغزالة في الأسْر فانتظرتُ حتى انشغلَ مع صاحبه ثمّ اتخذتُ النفقَ مسلَكًا وأخفيتُ فتحتَه بالصندوق وقلبي يرتجفُ وظللتُ أنا والصغيرة في قبرنا أحياء ، حتى استجاب ربُّ الغابة الدعاء ، وعُدتم من البحر على غير رجاء . وهي الآن في بيت أمّها تبثّها ما عانته من فَقْدِها" . نزل الأرنبُ من على ظهرها وقال "نحن يا من نأكل خشاش الأرض نعلم

أغوارَها ونشمّ ريحَها ونطمئنّ إليها ونهيئُ لكم وأنتم تأكلون لحومَنا مهربًا وسبيلاً . تأمروننا فنزرع الأرضَ خيرًا لتأكلوه ونفرش البحرَ بأجسادنا بساطًا لتعبروه ثمّ نبيتُ نطوي جوعَنا وتعبَنا ونحن عنكم راضون . ريشةٌ في جناح طائرٍ نحن ، لا يضيره إنْ وقعَت وربما ينزعها إذا أزعَجَته ولكنه سيعلم بعد حينٍ أنه بغير ريشه لا يطير .. وأنّ مَن وحدَه يغدو .. إلى الهلاكْ يسير" .

****

كلامُ الأرنب كان الصيحةَ التي تمنَّتها الحيواناتُ جميعًا بعدما كشفَت الملكةُ هذه المؤامرة ، شيءٌ ما منعَهم أن ينطلقوا ليطمئنّوا على الغزالة الصغيرة على الرغم من اشتياقهم لها ؛ ربما الحصان الذي عاد ليؤكّد أنّ الغزالة في البيت ، وربما الصدمةُ التي لم يفيقوا منها بَعدُ ، وربما صَمْتُ الأسدِ الذي لم يُحرْ جوابًا . لكنّ السببَ الأهمَّ هو المركب التي وصلَت إلى الغابة الآن والتي ينزل منها مَلِكُ الغابةِ البعيدة .

وسْطَ ذهول الحيوانات جميعًا اندفعَت الملكةُ إليه وانحنَت تحيةً له ثم سارت بجواره إلى الملكِ الأسير . الحوارُ الصامتُ الذي دار بين الملكَين كان أبلغَ من الكلام . نظرةُ الشماتة التي تحوَّلت إلى الغضب ثمّ انتهَت بلطمةٍ تركَت خلفَها الدماءَ على

وجه الخائنِ ألقَت الرعبَ في نفوس الحيوانات جميعًا. قال الملكُ لندِّه الأسيرِ "هذا جزاء ما أكرمناكَ وربّيناك ؟" فردّ قائلاً "إنما فعلتُ ذلك من أجلكم وكنتُ سأبسط مُلكَكم على كلّ الغابات" نَهَرَه الملكُ في شدة "ولهذا أرسلتَ غابتَكَ خلفنا في البحر ؟" ثمّ خاطَبَ الغرابَ "لقد استطاع أن يورِّطَكَ معه يا غراب وكنتَ ذراعَنا ولسانَنا .. ألم تخبِرْه أنّكَ مَن قَتلَ أباه مِن قَبل .. هاهاهاها ". استدار الملكُ إلى الجَمْعِ والملكةُ لم تزل بجواره ثمّ انسلّت حيواناتُ الغابة البعيدة لتلتفَّ مِن حوله واحدًا تلو الآخر وإذا بفريقَين متقابلَين وبينهما الأسيران يهذيان وتشعُّ من عيونهما الحسرة . سألَ القردُ الببغاءَ "ما الذي يحدث ؟" فقال الببغاءُ وهو لا يصدِّق عينيه وبانت الحيرةُ في صوته "لا أدري .. إنا أدركناهم في البحر فحاصَرْنا مركَبَهم وطلبْنا غزالتَنا وقدَّمنا دليلَنا فما كان منهم إلا أن قالوا: آخرُ المعروف نكرانُه ، والمركبُ أمامكم ففتِّشوه ولكننا لم نجد شيئًا . فأدركتُ خديعةَ الغراب وعلمتُ أنّ ما رأيتُه لم يكن وهمًا ولمّا كادت الغزالةُ المريضةُ أن تموت وقد فقدَت أملَها غمَرَنا معروفُهم وقدَّموا لنا يدَ العَونِ وأشاروا علينا أن نُبحرَ معهم إلى غابتِهم وقد كاد الليلُ أن ينتصف ثمّ ننبأ الملكَ في الصباح فلعله يعيننا . فلمّا قصصنا عليه الأمرَ غضب غضبًا شديدًا وقال: أيتَّهمُنا مَلِكُكم بالسرقة ثمّ يدفع بكم ليميتكم في البحر ويفوز

هو بعَرَضٍ زائل .. وربِّ الغابة لأساعدنّكم فلا خابَ مَن احتمي بي" ثمّ أخرجَنا على مراكبَ لهم وأخرَجَ معنا من جنوده ما ترَون وما علِمنا بمكيدتهم إلا من تلك الخائنة " .

قال الملكُ مخاطبًا الملكة "يبدو أنك قد أفشيتِ سرَّنا لكنّكِ لم تقولي إلا الحق" قالت الملكة "المكرُ صدقٌ كاذبٌ يامولاي وبعضُ الحقيقة لازمٌ لاكتمال الزيف" قال الملكُ "الآنَ انتصرَت غابتُنا فجهّزوا ليَ العرش ".

****

"ليس بَعدُ أيها المغرور" كانت هذه صيحةَ الحيوانات التي جاءت من الغابات الأخرى في مركبٍ واحد يضمّ زعماءَهم ولّما كانوا متفقين على تفويض أحدهم تكلّمَ أسدٌ هزيلٌ كان يتقدَّمهم وقال "إنَّ أهلَ الأرضِ أولى بحُكمِها" ردّ الملكُ في سخرية "وهل أنت من أهلها ؟" سكت النائبُ لحظةً ثمّ قال "مثلكَ لا يعلم أنَّ أهلَكَ أقرانُكَ وأنَّ أخاكَ مَن يؤلم جوفَه جوعُك ويُبْكي عينَه دمعُك وينتصرُ لكَ في مظلمتكَ ويعينُكَ في شدَّتك .. مثلُكَ يرى الأرضَ رقعةً والحكمَ دُواةً قلمُها السيفُ ويخطّ مصائرَ رعيَّته بأنيابه .. أما نحن فكهفٌ آمنٌ أحبّ إلينا من بَراحٍ خائن" ضحك الملكُ ضحكةً متصلةً وقال "ما زلتم ضفادعَ كما أنتم تمتلكون ألسنةً طويلةً تعتصرون بها فريستَكم

النّتنةَ ثمّ تقبضونها على الوهم والمرارة وما زلتم تقفزون في الوحل مستمتعين بلحظة في الهواء لا تملكون دوامَها وإنّ أقلّ زواحفنا لتأنف أجسادَكم لكنّي سأقول على طريقتكم : جُرحٌ ظاهرٌ أخفّ من طعنة غائرة وعَينُ القويّ أفصحُ من عين اللئيم فهل عَلِمَ أهلُ الغابةَ ما اتفقتم عليه مع مَلكهم يا نصير الضعفاء والمظلومين ؟؟ فاخلَعْ عنك ثوبَ العفّة وقُل إنّ الجبلَ إذا استعصى على الصعود فلإن ترجع سالمًا خير لك وإني لن أعاقبكم على ما أوهمتكم به نفوسكم وسأعفو عن تطاولكم علينا وسأمنع عنكم بأس أهل الغابة الثائرين فعودوا من حيث جئتم " .

وسط ذلك المثلث وقف الثعلب وقد فاجأ الجميع وهو يقول "لكأنّ أهلَ الغابة شجرةٌ تختارون لها زارعَها وراعيها وربما ثمارَها ، لكأنّكم وُلّيتُم علينا دون أن ندري .. وربّ الغابة لا يقربنّ أحدٌ من مُلْكنا إلا وقد وَدَّعَ أهلَه وحَفَرَ قبرَه بيديه .. إنكم لا تبتغون إلا تلك الغزالة الصغيرة وما أنتم بنائليها" قبل أن يكمل الثعلبُ كلامَه كانت الفرقتان تتدافعان إلى بيت الغزالة بينما أهل الغابة في أماكنهم لا يتحركون وبالطبع لم تكن الغزالة ولا أمها في البيت بعدما تسرَّبَ إليهما الأرنب وأخفاهما في النفق وسدَّ فتحتَه فوقفوا أمام بيتها خائبين

وعندها قال الثعلب الذي كان على رأس سهم من أهل الغابة وبجواره القرد والببغاء يحملان قَرْني الغزال "الأرض والغزالة لنا فافعلوا ما شئتم" قال الملك "أمّا الأرض فلا حاجة لنا بها وأما الغزالة فلولا نحن لما كانت عندكم وإنّ لنا فيها نصيبًا فإما أن تردُّوها لنا أو أن نظلّ معكم حتى تنجب لنا غيرَها" وقال النائب الهزيل "نعم إنّ لهم فيها نصيبًا وإنّا لمعاونوهم على أخْذِه ولو هَلَكْنا دونَه وما أنتم إلا شرذمة لا تجد من يحكمها فاختاروا مَن نَقفُ على رأيه ويكفل لنا حمايتَه" هنا صاح الأسدُ الأسيرُ وقال "أنا مَلِكُهم .. هَلمُّوا إليّ يا أهل غابتي فأحميكم ثمّ اقتلوني بعدها " .

****

لا شيء إلا الصمت والحيرة .. الحيوانات تنظر إلى بعضها كأنها تكتشف نفسها من جديد وكلٌّ يقول في نفسه "أينا يصلح للحُكم وهل يحكم الغابةَ إلا الأسد وماذا سيفعل الحاكمُ بالخائنين ؟؟ وغزالتنا الصغيرة أي مصير ينتظرها ؟؟ " وحدَه الحمارُ الذي كان يفكّر في شيءٍ آخر عندما رأى قَرْني الغزال لم يزالا مشهورَين .....!!

١٣ / ٣ / ٢٠٠٨

المــؤلّف

عادل محمّد أحمد

طبيب أسنان

عضو جماعة مغامير الأدبية

صدر له :

ديوان – تعَوَّدْ أن تموت

ديوان – إليك يسير الطريق

ديوان – الحديقةُ ملأى بالطواويس

تحت الطبع :

ديوان – الذي مِن شيعَته

ديوان – نَمَشٌ خفيف

dento32@gmail.com

